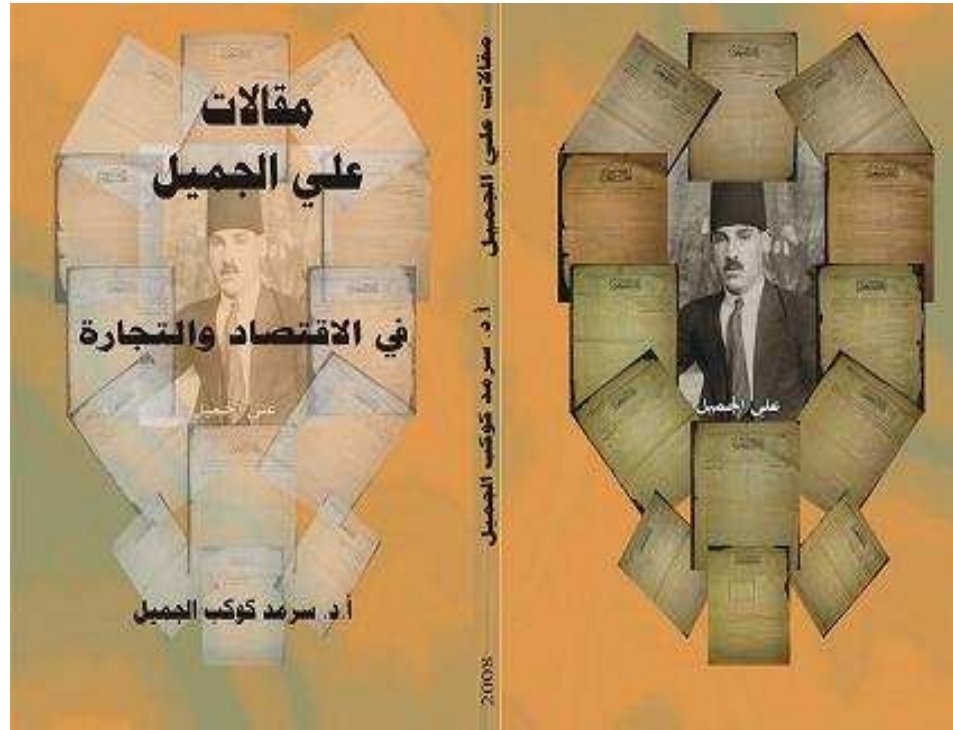


كتاب مقالات علي الجميل في الاقتصاد والتجارة

تأليف

أ.د. سرمد كوكب الجميل



مقالات علي الجميل في الاقتصاد والتجارة

تأليف

أ.د. سرمد كوكب الجميل

2009

الإهداء

إلى أبناء الموصل أم الربيعين

المحتويات

الاهداء

كلمة شكر

تقديم الكتاب بقلم الاستاذ الدكتور سالم توفيق النجفي

مقدمة

الفصل الأول

مدخل في البيئة الاقتصادية والتجارية للموصل في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

الفصل الثاني

علي الجميل بين قرنين : التاسع عشر والعشرين السيرة الشخصية: العلمية والعملية

الفصل الثالث

تحليل اقتصادي لمعطيات صحفية

الفصل الرابع

مقالات علي الجميل في الاقتصاد والتجارة

خاتمة

كلمة شكر

لا يسعني وأنا انهي هذا " العمل " ، إلا أن أتقدم بكلمة شكر وتقدير الى الصديق الاستاذ الدكتور سالم توفيق النجفي الذي سعدت جدا بتقديمه هذا " الكتاب " الى كل القراء الكرام .. كما لا انسى ابدا المعلومات التاريخية الممتازة وكل المقالات التي ارسلتها لي المؤرخة الدكتورة سارة شيلدز ، واهتمامها بموضوع اقتصاديات الموصل ابان القرن التاسع عشر ، وقد كانت تلك الادبيات اهم مصدر لي في كتابة الفصل الاول .. فضلا عن المعلومات القديمة التي كنت قد سجلتها منذ زمن بعيد عن عمنا الكبير المغفور له الأستاذ الحاج جميل الجميل ، وهو اخو علي الجميل .. وعن المرحوم الأستاذ محمد علي السلطان (خبير الدباغة الدولي) كما أشكر من صميم القلب كل الذي قدمه لي اخي العزيز الاستاذ الدكتور سيار الجميل من تشجيع وحرص ، فضلا عن اقتراحه بعض المراجع المهمة وملاحظاته التاريخية وقراءته للنص .. فضلا عن تقديم الشكر للأخ الفنان منذر المهدي في جامعة الموصل والذي قام بتصميم الغلاف .. وأيضا كل من ساعدني في اخراج هذا " العمل " ونشره .. مع خالص التقدير.

المؤلف

سرمد الجميل

تقديم الكتاب

بقلم : أ.د. سالم توفيق النجفي

لا تأتي فاعلية الظواهر وأثارها المجتمعية من فراغ، فإن جاءت هكذا فإنها تزول بعد حقبة من الزمن، فالمنظومة الأخلاقية القيمية التي أفرزها مجتمع مدينة الموصل، وتجسدت في بنية مجتمعها الحضري عبر مئات السنين، وعرفت في الأوساط الثقافية العربية بأنها لا تعطي ومنذ أمد بعيد ولأء لعابر سبيل، سواءً في العمل السياسي أو الأوساط الحاكمة فذلك التكوين المجتمعي لم يأت من فراغ، ومما يؤكد الطروحات؛ أن هذه المدينة قد حوصرت في تاريخها أكثر من مرة، وأبت إلا أن تكون تابعا للشعبوية أو الاستبداد في تاريخها، المعاصر والحديث، ورفضت الهيمنة الأجنبية في زمنها الحاضر، وبعبارة أخرى أن تراث هذه المدينة عبر مساراتها الزمنية الطويلة، كوّن نمط من المنظومة القيمية والأخلاقية العربية

الإسلامية، مؤكدة قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) .

وكان لمجتمع المدينة نشاطها التجاري الذي امتد إلى كافة الأطراف المجاورة، فضلاً عن إمكاناتها في توفير أمنها الغذائي، وأمكنها من إنتاج محاصيل نقدية لأغراض المتاجرة الخارجية مثل القطن والصوف والقمح والحاصلات الرعوية، بالإضافة إلى أنها امتازت بالصناعات المحلية مثل الدباغة والنسيج وغلب على التركيب النسبي لتجارتهما الاتجاهات الخارجية مع مرور الزمن، وبذلك استأثرت باهتمام العديد من المستشرقين في الماضي والحاضر.

وقد أفرز المجتمع العربي الإسلامي في الموصل في أواخر العهد العثماني العديد من الشخصيات التي قادت الحركات الوطنية والثقافية، ولاسيما تلك الفترة التي اتسمت بأنها مرحلة التحول نحو التحرر والسعي نحو الحكم الوطني والاستقلال عن الدولة العثمانية، وكان الأستاذ علي الجميل أحد مثقفي تلك الفترة الزمنية التي اتسمت بالتوتر وعدم الاستقرار، ولاسيما أنه شهد السلوك والتصرف غير العقلاني الذي مارسه السلطنة العثمانية على اقتصادات مدينة الموصل قبل رحيلها في أواخر الربع الأول من القرن العشرين.

ترك علي الجميل بعد رحيله تراثاً أدبياً يعتد به ويشكل تطوراً في التراث الأدبي والعلمي والثقافي لمدينة الموصل، فقد تنوع هذا التراث بين المقالة والمسرحية والشعر واتسم موضوعها بالاتجاهات الإصلاحية ذات النهج الوطني، كما غلبت على العديد من مقالاته المتضمنات الاقتصادية التنموية.

شارك أحفاده ولاسيما الأستاذ الدكتور سرمد كوكب علي الجميل بإعادة كتابة سيرة جده مستخدماً أدوات التحليل والنقد الحديث ولاسيما في المجالات الاقتصادية التي جاءت في كتابات علي الجميل في مطلع القرن العشرين، محاولاً توظيف المتضمنات النظرية الاقتصادية الكلاسيكية في كتابات علي الجميل، وعلى الرغم من اعتقادي غير المؤكد بأن علي الجميل لم يطلع على الصيغة الأكاديمية للنظرية الاقتصادية التي جاء بها الآباء الكلاسيكيون، إلا أن المشاعر الوطنية والمقدرة والكفاءة التجارية مكنته من توظيف الأفكار الاقتصادية في الدعوة لتحقيق المسارات التنموية لمجتمع مدينة عريقة مثل الموصل.

وأخيراً ... فإنني على يقين لا يقبل الشك أن هناك تراثاً فكرياً مرموقاً لرجال مدينة الموصل عبر تاريخها الطويل وحتى زمنها الحاضر، لا زال في خزائن ثمينة يعكس معاناة وإبداعات مجتمع الموصل، وساهم هذا المجتمع في صياغة أفكار هؤلاء الرجال، فهذا التراث إذاً دين عليهم تجاه الأجيال الحاضرة، ويجب على أبنائهم وأحفادهم أن لا يرحلوا دون الوفاء به تجاه أجيال المستقبل.

بارك الله في جهود الأخ سرمد الجميل بإزالته الغبار عن تراثٍ وحقيقةٍ يقتضي على المجتمع معرفتها، ليدرك كيف كان يفكر ويعمل هؤلاء الرجال الذين ساعدوا على بناء اقتصاد الموصل وثقافتها الحاضرة .

الأستاذ الدكتور

سالم توفيق النجفي

الموصل

أيلول/ سبتمبر 2008

المقدمة

" إن رقي الأمة الاقتصادي لهو متناسب دائماً مع إنتاجها
- فكلما زاد الإنتاج الزراعي والصناعي والعقلي والأدبي
زادت الثروة المالية وتجلت المنافع الوطنية بلا ريب "

علي الجميل

لقد كانت وما زالت بعض بيوت الموصل ، بمثابة مؤسسات حفظت تراث المدينة وتراث مجتمعتها، ولقد كانت الأمهات والجدّات حافظات أمينات على ما تركه الآباء والأجداد، فهل ستوفق الأجيال الحاضرة بالاستمرار بحفظ ذلك التراث وإدامته؟ كان أبي القاضي كوكب (توفي 1968) - رحمه الله - منشغلاً دائماً بتراث أبيه الأستاذ علي الجميل (توفي 1928) ، فجمع ، وصنف ، ونقل بخط يده كم كبير منه، فجمع ديوان شعره ، وكتابه " حديث الليل " ، وكتاب آخر بعنوان " نوابنا في الميزان " ، وآخر وآخر، ولم ير أي كتاب من هذه الكتب النور، وقد وقفت جملة من الأسباب وراء ذلك منها ، الأحداث المريرة التي عاشتها الموصل ، فضلا عن طبيعة البيئة العراقية طوال نصف قرن من الزمن أو يزيد، واليوم أشعر ، ويشعر معي أخي الدكتور سيار الجميل ، بمسؤولية كبيرة بإخراج ما نستطيع إخراج من ذلك الكم الكبير لهدف رئيس وأساسي يتمثل في الأمانة الملقاة على عاتقنا نحن الأبناء والاحفاد تجاه الآباء والأجداد .

لقد سمحت لي الفرصة بإعادة أرشفة ذلك التراث الكبير لحفظه من تحديات الزمن وعاديته، وكنا سمعنا كم أحرق من ذلك التراث في التناير، وكم أتلّف وكم رمي منه في آبار البيوت آنذاك لأسباب سياسية صعبة واجهتها المدينة، ويبدو أنه أن الأوان لكي يطلع من يرغب على جزء بسيط في تاريخ بلدهم القريب ، وكيف استطاع الجيل الأول من القرن العشرين أن يوصف ظاهرة عاشها، وما علينا إلا فهم الدرس التاريخي ، وإدراك أبعاده .

وبالرغم من كل ما كتب عن الاستاذ علي الجميل بدءاً من روفائيل بطي وهو ينعيه بكتابة ترجمته ونشرها في مجلة " لغة العرب " ببغداد سنة 1929 ، وانتهاءً بأخر ورقة كتبت عنه بقلم الاخ الدكتور سيار على موقعه الإلكتروني؛ أسوة برجال هذه المدينة وعلمائها ومفكرها، فقد وجدت جانباً ، قلما اهتم به آخرون، وهو المقالة الاقتصادية والتجارية والإدارية، وفعلاً وجدت معالجات ومناقشات تنمّ عن دراية ومعرفة اقتصادية ومالية ، فعمدت إلى دراستها وتحقيقتها والتقديم لها في عدة جوانب وزوايا: الجانب الأول؛ البيئة الاقتصادية والتجارية التي نشأ وترعرع فيها علي الجميل ، فكان هذا بمثابة الفصل الأول ، اما الجانب الثاني ، فيحكي سيرة الرجل العلمية والعملية ، فكان هذا عنواناً للفصل الثاني، ويحكي الجانب الثالث الأسس العلمية للنظرية الاقتصادية التي سادت إبان القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهي النظرية الاقتصادية التقليدية والنظرية الاقتصادية التقليدية المحدثة، وهكذا اكتمل الإطار المنهجي الذي يمكن القارئ للتعامل مع الجزء الثاني من الكتاب ، وهو مقالات علي الجميل في الاقتصاد والتجارة .

إن واجب الأمانة العلمية ، ومنهجية البحث العلمي تقتضي توثيق وتدقيق وتوصيف الظاهرة ، وهذا ما اعتمدها في هذا الكتاب بعيداً عن كل ما يخالف المنهجية العلمية، ويبقى للقارئ

رأيه وإدراكه للظاهرة ورسمه للأبعاد السياسية والاجتماعية. لقد عاش الرجل سنوات قليلة
كان عطاؤه كبيراً ، ويبدو ان أمنياته كانت كبيرة ، وان تطلعاته نحو مجتمعه أكبر ، وأملني
أن أكون قد أديت جزءاً من تلك الأمانة التي بدأ بها سواء أصبت أو أخطأت ، اللهم اشهد.

المؤلف

تموز / يوليو 2008

الفصل الأول

مدخل

البيئة الاقتصادية والتجارية للموصل في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

مراجعة تاريخية وتوصيف للبيئة

إن دراسة النتائج الاقتصادية والمالية والتجارية للاستاذ الكاتب علي الجميل يستلزم الوقوف على البيئة التي ترعرع ونشأ فيها، وتتمثل في ثلاث فترات زمنية: الأولى نهاية العهد العثماني 1880-1917، والثانية عهد الاحتلال البريطاني 1917-1921، ومن ثم الثالثة على عهد تأسيس الحكم الوطني 1921 لغاية وفاته عام 1928. وتؤشر المراجع التاريخية أن الموصل بوصفها ولاية عثمانية قد أدت دوراً كبيراً، وتبوات أسبقية على غيرها من ولايات الإمبراطورية العثمانية، وكان هذا من خلال الأنشطة الاقتصادية والتجارية التي تمارس في المدينة، وعدد القطاعات الاقتصادية المحلية لمدينة الموصل من جهة ولولاية الموصل بوصفها إقليمياً ثريا من جهة ثانية.

لقد قادت تجارة هذه المدينة إلى خلق حركة كبيرة من الاتصالات مع مناطق ودول متعددة يقف على رأسها العديد من دول أوروبا، وكان هذا نتيجة طبيعية لتغيرات كبيرة تمثلت في انتقالات وتحولات على مستوى الدولة العثمانية ككل. واستند اقتصاد ولاية الموصل على بنية شبكية أدارتها مؤسسات مدينة الموصل عبر حركة تجارية إقليمية محمية؛ بدءاً من التحوام الشمالية وانتهاءً بالسواحل الخليجية والمتوسطية¹. ولقد عرفت الموصل كونها واحدة من ابرز المدن الكوسموبوليتانية في الشرق الأوسط، إذ اكتملت فيها ثلاثة أنواع من التجارات، هي التجارة الدولية بين الشرق والغرب، والتجارة الإقليمية بين مختلف الأقاليم

¹ Sarah D. Shields, Regional Trade and 19th-Century Mosul: Revising the Role of Europe in the Middle East Economy, International Journal of Middle East Studies, Vol. 23, No. 1, (Feb., 1991), pp. 19-37. See Also, Hala Mundhir Fattah, "The Development of the Regional Market of Iraq and the Gulf, 1800-1900," Ph.D. dissertation, University of California, Los Angeles, 1986; Resat Kasaba, The Ottoman Empire and the World Economy: The Nineteenth Century (Albany: State University of New York Press, 1988).

التي تجاورها في إيران وتركيا وبلاد الشام ، وأخيراً ، التجارة المحلية التي تتميز بها حيوية المركز والأطراف المحيطة بها².

الموصل؛ المدينة التي قدر عدد سكانها إبان الحرب العالمية الأولى إلى ما يقرب من 70000 نسمة كانت بمثابة العاصمة الاقتصادية والتجارية والإدارية لولاية واسعة طالت خطوط تجارتها تخوم البحر الأسود شمالاً، والمتوسط غرباً، والخليج العربي جنوباً³، وقد عرف الغرب الأوربي الموصل من خلال موقعها على أهم الطرق البرية في الشرق الأوسط، فصلة أوروبا بالشرق كانت عبر الموصل، وهذا ما أشار له ياقوت الحموي حين قال : كنت دائماً أسمع بثلاث مدن عظيمة في العالم؛ نيسابور بوابة الشرق، ودمشق بوابة الغرب، والموصل كونها الطريق الأقصر بين المدينتين نيسابور ودمشق وعبر الاتجاهين، فهي تقع بين المتوسط والخليج والبحر الأسود⁴.

تتوزع القطاعات الاقتصادية في الموصل إلى سلعية وخدمية، وهذا يمثل الحلقة الأساسية في نمو وتطور وتوسع وازدهار اقتصادها، ولكن الأهم من كل هذا يظهر في إطار العلاقة المتأصلة بين القطاعين الإنتاجي والخدمي، فقد قدم قطاع الخدمات الكثير لعمليات الإدارة والحماية والبناء والتحول، فاققتصاد الموصل الزراعي والصناعي؛ هو اقتصاد إنتاجي بكل معنى الكلمة؛ وكان لا بد له من قطاع يقدم لهذين القطاعين الخدمات التي يحتاجان لها؛ مما أشر حالة من التكامل القطاعي بين القطاعات الخدمية والإنتاجية.

أشرت عدد من الدراسات ، إن نمو تجارة الموصل وتوسعها وتطورها ، ولاسيما مع أوروبا لم تتركس تحولاً كبيراً في القطاع الزراعي، ولم تشهد تحولاً كبيراً في الإنتاج الزراعي؛ يؤكد هذا عوائد قطاع الغذاء ومنها الحبوب، وتوفير المواد الأولية للتصدير، ولكن حدثت كل تلك التغيرات من منطقة وإقليم لم يتوقع أن تأتي منه كل تلك التغيرات والتحويلات على مستوى الدولة العثمانية، فالموصل ذات البناء الاقتصادي الواسع، ومن خلال حمايتها لشبكات التجارة الإقليمية التي خلقتها عبر تغيرات كبيرة وحاسمة وعبر تجارب امتدت من تخوم الجبال في أقصى الأناضول إلى شواطئ الخليج والبحر المتوسط، كل هذا قادها لأن تكون بمثابة العاصمة الإدارية والاقتصادية والتجارية لإقليم واسع عبر منظومة الأقاليم العثمانية⁵.

لقد عرف الغرب الموصل من خلال موقعها على مفترق طرق التجارة العالمية ومن أهمها شبكة طرق الشرق الأوسط ، فكان موقع الموصل على طريق البر التجاري الذي يجهز أوروبا بالسلع من الشرق البعيد لقرون من الزمن⁶، وعرفها من منتجاتها الصناعية منذ عقد

² انظر : سيار الجميل ، زعماء وأفندية : الباشوات العثمانيون والنهضويون العرب (البنية التاريخية للعراق الحديث) : الموصل نموذجاً (عمان/ بيروت : الاهلية للنشر والتوزيع ، 1999) ص 116 .

³ Sarah D. Shields, Regional Trade and 19th-Century Mosul...., Op. Cit, pp. 19-37.

⁴ Sarah D. Shields, Loc.Cit.

⁵ لقد أشرت بعض الدراسات ذلك ومنها دراسات المؤرخة Sarah D. Shields والتي نشرتها International Journal of Middle East Studies وفي أكثر من دراسة .

⁶ أكد على هذا الجانب العديد من العلماء والمؤرخين الذين تميزوا باهتمامهم الشديد بالموصل وجيوستراتييجيتها ، وهم : لونكريك وروبرت اولسن وبرسي كيمب ، انظر اعمالهم :

S.H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, (Oxford, 1925); R. Olson, The Siege of Mosul and Ottoman – Persian Relations 1718-1743(Indiana University, 1975); P. Kemp, Mosul and Mosuli Historians of the Jalili era 1726- 1834, Ph.D. Thesis, Oxford University, 1980.

الستينات في القرن الثامن عشر فقد أخذ المنتج الموسلين أسمها إذ يقول William Gervase Clarence-Smith⁷ ما نصه:

(Mosul, which had given the world the word 'muslin,' experienced no more than a timid renaissance from the 1760s)⁸

ولقد تركز اقتصاد الموصل في عدد معين من الأنشطة من أهمها الزراعة والرعي والصناعة والإنتاج الرعوي والحرف المتعددة لخدمة منطقة شاسعة كانت الموصل الحلقة الرئيسية لربط كل تلك الشبكات وحمايتها وإدارتها⁹.

ثلاثة أنشطة رئيسة في الموصل : الزراعة والصناعة والرعي

تعد الزراعة من أهم الأنشطة الاقتصادية التي تمارس في الموصل، فهي توفر الغذاء والمواد الأولية للمدينة، وكل المناطق والمدن التابعة لها، وصناعة الموصل تعد نشاطاً غاية في الأهمية وكانت تشحن المنتجات عبر امتدادات الأقاليم من شمال الأناضول قرب البحر الأسود انتهاءً بسوريا وإيران وجنوب العراق، ومن ثم عبر الامتدادات الصحراوية. أما النشاط الرعوي ، فقد كان من الأنشطة الاقتصادية الرئيسية في الموصل، وتصدر منتجاته إلى سوريا ومصر؛ أما المنتجات الرعوية الأخرى، فقد كانت تصدر إلى أوروبا عبر البحار، ومنها الجلود نصف المصنعة والصوف وهذا ما سناقشه بشيء من التفصيل لاحقاً.

الزراعة النشاط الأول

لما كان موقع الموصل وسط مساحات واسعة من الأراضي الخصبة التي تقع بين نهري دجلة والفرات ، فقد نشطت فيها زراعة الحبوب بشكل كبير تلك التي لا تعتمد السقي وإنما تعتمد الأمطار، ومن أهم منتجاتها الزراعية الحبوب؛ الحنطة والشعير، وتعد المنتجات الرئيسية والإستراتيجية التي تجمع من المناطق المحيطة بالموصل، وتخزن غذاء للسكان، وبعد أن يستقطع الفلاحون جزءاً من المحصول المنتج لسد كفايتهم للغذاء والأكل، ويخزن جزء منه لغرض البذار لسنة قادمة، وغالباً ما كانت تتم الزراعة عبر الوسائل التقليدية المعتمدة على الحيوانات في الحراثة والحصاد ، فيما كانت معظم الأدوات الحديدية والفخارية والجلدية البدائية تنتج في المدينة، وتباع في اسواقها ، فيما كان من المنتجات الزراعية التي تحتاج لطبيعة معينة ومواصفات معينة ، ومنها: الرز والتبغ واللذان يزرعان في المناطق الجبلية ذات الوفرة المائية ولاسيما عقرة والشيخان، فيما كانت الفواكه

⁷ William Gervase Clarence-Smith, Cotton textiles on the Indian Ocean periphery, c1500-c1850

William Gervase Clarence-Smith , Working Paper

⁸ اعتمد المؤلف على البحوث :

Dina Khoury, State and Provincial Society in the Ottoman empire; Mosul 1540-1834, (Cambridge 1997), pp. 33-7; Sarah Shields, Mosul before Iraq; like Bees Making Five-sided Cells, (Albany 2000), pp. 76-8, 99; Lombard, Les textiles, p. 64; Fukasawa, Toilerie, p. 52.

⁹ Sarah D. Shields, Loc.Cit.

والخضراوات تزرع في المناطق القريبة من النهر لوفرة المياه ومناطق شمال الموصل، وكان يستقطع العشر ضريبة على الإنتاج الزراعي¹⁰.

يوفر الإنتاج الزراعي في الموصل الغذاء والمواد الأولية لمناطق منها بغداد والبصرة وديار بكر¹¹، وقد ساعد نهر دجلة كثيراً في تسهيل حركة الصادرات عبر الأكلاك من الموصل وانتهاءً ببغداد والبصرة¹²، وقد كان معظم المنتجات التي تصدر من الموصل تتوزع بين الحبوب والمواد الحيوانية كالصوف والجلود، فيما تركزت تجارة إقليم الموصل على المنتجات الزراعية، وقد بدأ واضحاً في القرن الثامن عشر ولغاية القرن التاسع عشر في عدد كبير من الدراسات، وشيدت الأسواق عبر القرون وانتعشت الأسواق وقادت إلى المزيد من تراكم الثروة، فكانت أسواق الموصل، عامرة بخاناتها ومنتجاتها، ونشطة في حركتها التجارية الخارجية والداخلية¹³.

لقد ارتبطت زراعة الموصل بحاجتها للمنتجات الزراعية المتنوعة وخاصة الحبوب. وكانت الزراعة، بمثابة سلة الخبز للسكان، ووسيلة للنمو وتراكم الثروة، ولكن الأهم من ذلك بدت الموصل، إحدى أبرز مدن الشرق في الصناعة التي كانت قد تطورت من خلال الحرف التي تعد بالعشرات مع تبلور الاصناف (= النفايات) الموصلية¹⁴. لقد كانت صناعة الموصل الحرفية قد تبلورت بشكل كبير، تلبية لحاجة القطاع الرعوي، ولهذا بدأ أن قطاعي الزراعة والصناعة، كانا لخدمة القطاع الرعوي الذي بدت تتطور ملامحه خلال القرن التاسع عشر بشكل كبير. وهو القطاع الريادي الذي حرك اقتصاد الموصل، وكان له تأثيره البالغ على حركة اقتصاديات الإمبراطورية العثمانية.

الصناعة الحرفية: نشاط متميز

لقد تطور القطاع الصناعي والحرفي في الموصل خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بشكل كبير جداً، وثمة صناعات حرفية كثيرة، ولكنه تركز في أهم عدد من الصناعات، ومنها:

الدباغة وصناعة الجلود

لقد كانت بمثابة الصناعة الرئيسية في الموصل، وضم هذا القطاع: صناعة دباغة الجلود، وتظهر الوثائق التاريخية أن الموصل كانت تضم أكثر من مئة حرفي متخصص في الدباغة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتركز صناعة الدباغة على تهيئة الجلود

¹⁰ Sarah D. Shields, Regional Trade and 19th-Century Mosul....., Op. Cit, pp. 19-37.

¹¹ Sarah D. Shields, Op Cit, pp. 20-22.

¹² سيار الجميل " الحياة الاقتصادية والاجتماعية لولاية الموصل في العهد الجليلي 1726-1834 " في : عبد الجليل التميمي (محرر) ، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية اثناء الحكم العثماني ، الجزء الاول والثاني ، تونس ، 1988 .

¹³ Sayyar K. Al-Jamil, A Critical Edition of al-Durr al-Maknun fi al-Ma'athir al-Madiya min al-Qurun of Yasin Al-Umari.. , vol. 1, St.Andrews University, 1983). Also, Sarah D. Shields, Loc, Cit. Also See , Dina Rizk Khoury ,The Introduction of Commercial Agriculture in Province of Mosul and its Effects on the Peasantry , 1750-1850,PP155-172 ,Edited By : Caglar keyder and Faruk Tabak , Landholdingand Commercial Agriculture in the Middel East , State University of New York Press 1999.

¹⁴ راجع التفاصيل في :
Sayyar K. Al-Jamil, Loc. Cit.

ومعالجتها ودباغتها، وقد اعتمدت كمهنة محلية تهيئ منتجاتها للتصدير بشكل رئيسي، علماً أن هذه الصناعة كانت تستخدم الطرق التقليدية في معالجتها، وتعتمد عليها صناعات كثيرة ومتعددة ومنها: الأحذية والأحزمة والسروج ومختلف المنتجات الجلدية الأخرى ، ولاسيما تلك التي تستخدم في الحياة الرعوية لحفظ المواد والمنتجات الحيوانية واستخدامات كثيرة أخرى، وقد أشرت دراسات المؤرخة Sarah Sheild أن صناعة الجلود ضمت أكثر من 250 حرفي متخصص ثلاثة أرباعهم يعملون بجلد الغنم ، وبالتحديد في نهاية القرن التاسع عشر، وتشمل صناعة الجلود وتهيئتها أي الدباغة جلود الغنم والبقر، وغالباً ما كانت تستخدم لتغطية حاجة الصناعة المحلية ، إلا أن الجزء الأكبر كان يصدر إلى بريطانيا وفرنسا¹⁵.

الغزل والنسيج والحياسة

لقد اعتمدت هذه الصناعة على الصوف المنتج محلياً والقطن المنتج محلياً والمستورد، وازدادت أهمية صناعة الغزل والنسيج في الموصل لتغطية الحاجة المحلية، ولاسيما من الألبسة التي كانت تعتمد بشكل كبير على الغزل، والنسيج المحلي، وخاصة الزبون الذي يرتديه الرجال ، والإزار الذي ترتديه النساء ، والعباءة الرجالية ، وأغطية الرأس ، ومنسوجات المناشف ، والأغطية ، والملاحف ، والفرش والجواريب.. وغالباً ما تكون من الصوف والقطن، وقد كان يصدر معظم المنتج إلى المناطق الجبلية الكردية ، وبلاد الجزيرة وبغداد، ونتيجة لذلك ، فقد ازدادت الحاجة للأصواف والأقطن في نهاية القرن التاسع عشر ، مع ازدهار الاستخدامات النسيجية والحياسة التي أشرها نمو الإنتاج .. وهذا ما أكده مساعد القنصلية الفرنسية¹⁶.

لقد كان القطن والصوف هما المادتان الأساسيتان للصناعة النسيجية والحياسة، وغالباً ما كان يغزل القطن والصوف باليد في المدن الصغيرة والقرى من قبل الرجال والنساء، ولم يكن هذا عمل دائمي لهؤلاء الناس، وإنما هي ممارسة إنتاجية في أوقات الفراغ وفي غير أوقات العمل أي في أوقات الاستراحة والفراغ، ويغلب هذا في أوقات المساء وبعد الظهر سواء كان الأفراد مجتمعين أم فرادى ، فيمارس الرجال هذا العمل حتى في الأماكن العامة وفي الدور ، وتمارس النساء هذا العمل في الدور وأثناء اجتماعهن مع بعضهن، ولهذا تذهب الباحثة Sarah Sheilds إلى أنه من الصعب تقدير حجم إنتاج الغزل في تلك الفترة¹⁷.

أما تصدير منتجات الموصل فقد كانت تصدر غالباً إلى بريطانيا وفرنسا في حين تعتمد الموصل على أطرافها في تصريف الكثير منتجاتها، وبالمقابل توفير مادتها الأولية، وكان غالباً ما يستورد القطن من حلب الذي يأتيها من أوروبا رغم أن القطن يزرع في الموصل في مناطق متعددة وكانت تسهم بتوفير القطن للموصل بكميات لا بأس بها.

¹⁵ Sarah D. Shields, Regional Trade and 19th-Century Mosul....., Op. Cit, pp. 19-37. Also See Sarah D. Shields, Sheep, Normads and Merchants in Nineteenth-Century Mosul: Creating Transformations in an Ottoman Society, Journal of Social History , Vol.25.No.4(Summer,1992) PP773-789.

¹⁶ أشرت عدد من الدراسات ذلك للمزيد أنظر:

¹⁶ Sarah D. Shields, Regional Trade and 19th-Century Mosul....., Op. Cit, pp. 19-37

¹⁷ Sarah D. Shields, Regional Trade and 19th-Century Mosul, Loc, Cit.

لقد كان في الموصل 500 حائكا في سنة 1845، ارتفع العدد إلى 760 في سنة 1894، فيما بلغ عدد الأنوال اليدوية الخاصة بالغزل 1000 في سنة 1910، وقدّر عدد القطع المنتجة بحدود 35000 سلعة تنتج بالنول اليدوي ومعظمها الزبون والإيزار.

لقد ضمت الموصل عدد من الصناعات، منها:

صناعات معدنية وغذائية وبنائية، وتستخدم المواد الأولية المحلية والمستوردة في عمليات الإنتاج وغالباً ما كان يستورد السكر الذي يستخدم لصناعة الحلويات. لقد كان هناك 30 مبنى تجاري في الموصل¹⁸، ورغم التباين الكبير في صناعات الموصل، ولكن يمكن الخروج ببعض النتائج، ومنها:

1. إن التجارة بوصفها مدخلات للصناعة ومخرجات منها لا يمكن النظر لها في إطار علاقة خطية بين المواد الأولية المستوردة للصناعة بمقابل المخرجات النهائية بوصفها منتجات مصدرة، فالمواد الأولية التي تحتاجها الصناعة غالباً ما تستورد من أوروبا؛ أما المنتجات النهائية فتستخدم من قبل سكان المدينة والمدن والقرى التابعة لها؛ أي تستخدم من قبل سكان كل إقليم أو ولاية الموصل والمناطق المحيطة بها.

2. إن الصناعات الحرفية تنتج سلعة مطلوبة من قبل السكان المحليين، وغالباً ما تنتج هذه السلع من قبل الصناعيين الحرفيين: مثل صناعة الأحذية التي استطاعت أن تتكيف مع تغيرات الطلب واتسعت معالمها فيما بعد إلا أن الاحتلال البريطاني كان قد أثر سلبياً على هذه الصناعة - كما سيظهر لاحقاً - .

3. إن استيراد المواد الأولية والمنتجات النهائية المطروحة قادت إلى استمرار الصناعات المختلفة في الموصل، وقد تحولت عبر الزمن، وكانت تلك التحولات هادئة لمواجهة التغيرات التي فرضها القرن الجديد بكل معطياته، ولاسيما من خلال النماذج الحديثة التي استطاعت بعض الصناعات التكيف لها والتحول تجاهها لمواجهة الطلب الذي بدأ الناس يعون له ويدركونه ويتجهون باتجاهه.

الإنتاج الرعوي

لقد كان القطاع الرعوي من القطاعات الاقتصادية الرئيسية في الموصل إلى جانب القطاعين الزراعي والصناعي، ولقد كان القطاع الرعوي رائداً في التغيير الاقتصادي ونمو الاقتصاد في الموصل خلال القرن التاسع عشر، ذلك أن الحيوانات والمنتجات الحيوانية من مناطق الرعي الخضراء الغنية بالاعشاب، والمحيطة بالموصل وعبر امتداداتها الواسعة والطلب الكبير من قبل سكان الموصل على المنتجات الحيوانية قادت لتطورات كبيرة كان وراءها العديد من الأسباب:

1. إن التطورات الكبيرة التي حصلت في الدولة العثمانية وسوريا ومصر قادت إلى زيادة كبيرة في استهلاك اللحوم وهذا ما أشره John Bowrings في تقريره سنة 1840، فقد أشر أن قطعان الأغنام في سوريا كانت بعيدة عن توفير اللحوم للسكان، أي بعبارة أخرى،

¹⁸ Sarah D. Shields, Loc. Cit.

يقصد بالمباني التجارية الخانات والقيصريات المنتشرة في الموصل القديمة التي كانت بمثابة مراكز نشيطة للتجارة، وقد استمرت ولغاية اليوم فمنها من تم تجديد عمارتها فاخفت معالمها القديمة باستثناء عدد قليل جداً لا زالت قائمة ومنها خان حمو القدو وخان حاجي قاسم أغا وقيصرية سباهي بزار .

انها غير كافية لسد احتياجات سوريا علماً أن 80000 رأس من الغنم كان يصل لسوريا من أروم والموصل لتغطية حاجة سكان سوريا العظمى من اللحوم¹⁹.

2. زيادة اهتمام الأوربيين بالصوف ولاسيما صوف الموصل وهذا ما أشرته تقارير تجارة حلب سنة 1860 ، وأكد التقرير ما نصه : " الصوف وجد له سوقاً رائجة في أوروبا وخاصة فرنسا " ولقد كانت تجارة الغنم والمصدرة إلى سوريا من الموصل كبيرة جداً، ولقد ازدهرت الثروة الحيوانية بشكل كبير في الموصل عبر امتدادات طويلة تمتد من الشمال المتاخم لجبال زاكروس وانتهاءً بصحاري وبادي الجنوب وعبر ما بين النهرين، فكانت تتوفر مساحات واسعة متعددة المناخات والطبيعة فيجد الراعي في الصحاري والبراري الجنوبية في فصل الشتاء الدفء والماء والكلأ، ويجد في الشمال في فصل الصيف حاجته من الماء والكلأ فتتوزع الطبيعة ساهم بشكل كبير في ازدهار هذا القطاع خلال القرن التاسع عشر²⁰.

كذلك كان لزيادة الطلب على الغنم والماعز من سوريا ومصر والإمبراطورية العثمانية وأقاليمها مترامية الأطراف، وكذلك زيادة الطلب الأوربي على الصوف والمنتجات نصف المصنعة من الجلود ولاسيما بريطانيا وفرنسا كل هذه أشرت زيادة صادرات المدينة من المنتجات الرعوية إلى ما هو أكثر من الضعف²¹.

العامل الأهم في المنتجات الرعوية يتمثل بالدهن الحر " السمن " المنتج من الغنم لما له من قيمة غذائية عالية ، وأنه شكّل عاملاً حاسماً في غذاء السكان المدنيين في المدينة والرعاة البدو في مناطق الرعي بسبب قدرته على الحفظ من دون تلف، وأنه يشكل عنصراً أساسياً في وجبة الغذاء للسكان ، وتوفر الأواني الجلدية والفخارية التي يمكن لها أن تحفظ السمن الحيواني لأكثر من سنة أو يزيد.

ان الجلود المدبوغة وغير المدبوغة ، والصوف ، والوبر ، والغنم ، والجمال والخيول ، شكلت ما قيمته نصف صادرات الموصل، فغنم الموصل وماعزها كقطعان نمت بشكل كبير جداً ولاسيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وإن زيادة أهمية تلك المنتجات قاد لدعم اقتصاد المدينة وقادت إلى تغيير كبير في الثروة، ونموها ويعد كثير من السكان المدنيين في الموصل قادة عملية التغيير الاقتصادي ، وساعدهم في ذلك سكنة المناطق الزراعية المحيطة من خلال علاقة تعايشية اجتماعية ، وتعاونية اقتصادية بين من يوفر رأس المال وضمان حياة معيشية جيدة للراعي وعائلته، وبين الراعي الذي يقوم بإدارة القطيع وجني المنتجات الحيوانية، وقد اتسمت تلك العلاقة بنوع من الموثوقية التي استمرت ليومنا هذا ولكن بصيغ جديدة ومتوازنة بالرغم من قلتها.

¹⁹ Sarah Shields, "An Economic History of Nineteenth-Century Mosul," Ph.D. dissertation, University of Chicago, 1986, pp. 143-49.

²⁰ Sarah D. Shield, Sheep, Normads and Merchants in Nineteenth-Century Mosul..., OP. Cit PP773-789.

وراجع المعلومات الممتازة التي تضمنتها دراسة :

سيار الجميل ، " رحلة جوستن بيركنس عبر شمال العراق والأرض الكلاسيكية عام 1848 " ، المورد ، المجلد (18) ، العدد (4) ، بغداد ، 1989 .

²¹ Sarah Shields, "An Economic History of Nineteenth-Century Mosul, Op Cit P. 144.

التجارة

لقد ارتبطت الموصل بعلاقة تجارية متميزة مع أوروبا منذ عصور خلت بمرور أحد خطوط مسالك درب الحرير من خلالها²²، فضلاً عن مركزيتها وارتباط عدة مسالك تجارية بها²³ وبالمقابل كان لأوروبا دوراً مهماً في اقتصاد الموصل لاسيما في التبادل التجاري للحيوانات الحية والمنتجات الحيوانية، فصادرات الموصل احتلت أهمية كبيرة بلغت نسبتها كما يعرضها الجدول 1

الجدول 1
الهيكل النسبي للتجارة الخارجية والإقليمية والمحلية

السنة	التجارة الخارجية	التجارة الإقليمية	التجارة المحلية
1884	%26	%22	%53
1896	%20	%12	%68
1897	%26	%18	%56
1909	%50	%50	

Source: Sarah D. Shields, Regional Trade and 19th-Century Mosul: Revising the Role of Europe in the Middle East Economy , International Journal of Middle East Studies, Vol. 23, No. 1, (Feb., 1991), pp. 19-37.

أما المواد والسلع المتاجر بها فقد كانت تضم الصوف والوبر ، وكان يصدر لبريطانيا منه النسبة الأكبر، وهذا بالتحديد في نهاية القرن التاسع عشر، وأما الأغنام والجمال والمنتجات الحيوانية النصف مصنعة ، فقد شكلت النسبة الأكبر من تجارة وتصدير الموصل فبلغت نسبته 60 من إجمالي الصادرات.

أما الاستيرادات ، فقد ضمت السلع الاستهلاكية والكيميائية التي تستخدم في الصناعات المحلية ، وخبوط الغزل ، والقطن ، والورق ، والعقارات ، والسكر وقد شكلت هذه التجارة ، استمرارية فعالة لغاية اندلاع الحرب العالمية الأولى، وقد توزعت التجارة ما بين الخارجية والداخلية فكانت في سنة 1909 قد توزعت بالتساوي 50 % خارجية و 50 % داخلية²⁴.

²² انظر معلومات الرحالة ايفز في :

E. Ives, A Voyage from England to India, London, 1760, p. 56.

²³ انظر الملحق رقم 2 الذي خصصه سيار الجميل بعنوان " مسالك الموصل الإستراتيجية وخطوطها الإقليمية العراقية " في كتابه : حصار الموصل : الصراع الإقليمي واندحار نادر شاه ، الموصل ، 1990 ، ص 248-256 .

²⁴ Sarah Shields, "An Economic History of Nineteenth-Century Mosul, Op Cit P. 144. See Also , Sarah D. Shields, Regional Trade and 19th-Century Mosul, Op.Cit, pp. 19-37.

الدول التي يتاجر معها

كانت تصدر إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية والهند، والنتيجة المهمة التي كان قد توصل لها عدد من الباحثين أن تجارة الموصل رغم نسبتها الصغيرة من إجمالي تجارة الدولة العثمانية ، إلا أنها شكلت عاملاً أساسياً ومهماً في استمرار ودعم ثروة الموصل ومساندة الدولة العثمانية . وساهمت أيضاً في استمرار وديمومة الحياة الاقتصادية للموصل بوصفها ولاية مترامية الأطراف ومدينة إستراتيجية احتلت المرتبة الأولى من بين ولايات الدولة العثمانية منذ القرن السادس عشر وحتى بدايات القرن العشرين²⁵ . إن تحليل أرقام تجارة الموصل في كل من صادراتها واستيراداتها يمكن أن تضع المحلل الاقتصادي في

موضع يؤكد الأهمية النسبية لثلاث مناطق نفوذ هي :

منطقة النفوذ الخارجية

منطقة النفوذ الإقليمية

منطقة النفوذ الداخلية

إن تحليل أرقام الاستيرادات والصادرات للسنوات 1884 – 1912 يعد من الأهمية بمكان في تأطير مناطق النفوذ تلك، وقد تم تحديد مناطق النفوذ التجاري للموصل . ويظهر الجدول 2 الهيكل النسبي للتجارة الخارجية والإقليمية .

الجدول 2

الهيكل النسبي للتجارة الخارجية والإقليمية

السنة	الخارجية	الإقليمية
1884	%54	%46
1909	%51	%49
1912	%62	%38

Source: Sarah D. Shields, Regional Trade and 19th-Century Mosul: Revising the Role of Europe in the Middle East Economy , International Journal of Middle East Studies, Vol. 23, No. 1, (Feb., 1991), pp. 19-37

لقد اتسعت تجارة الموصل مع أوروبا ، وباتت في بداية القرن العشرين ذات أهمية كبيرة وبالغة ، وعلى الرغم من أن تجارة الولاية المحلية قد ازدادت وازدهرت ، وبلغت التجارة الخارجية نصف مجموع تجارة الولاية ، إلا أنها في السنوات التي أعقبت السنتين العجاف التي أصابت الموصل في شتاء 1910 و 1911 التي قادت إلى تقليص تجارة الولاية مع سوريا ، فتقلصت تجارة الغنم وشحت الحنطة المصدرة لبغداد ، إلا أن سنة 1912 أظهرت

²⁵ راجع ما كتبه وما صوره على الخرائط المؤرخ دونالد بيتجر في اطروحته الممتازة :

D.E. Pitcher, An Historical Geography of the Ottoman Empire , Leiden & Brill, 1972.

الأرقام انتعاشاً تدريجياً محلياً وإقليمياً وخارجياً واستمرت أهمية تلك التجارة لاقتصاد الموصل .

إن المناطق المحيطة بالموصل شكلت ما قيمته نصف استيرادات الموصل فأصبحت المقولة بأن 30000 ميل مربع من الأراضي التابعة للموصل يمكن أن توفر متطلباتها ، وأيضاً ، يمكن أن تلبى حاجة المدن الأخرى في الولاية ، ومنها السليمانية وكركوك وأربيل ودهوك وعقرة .. فكانت منتجات الموصل المحلية تغطي احتياجات سوق الموصل، علماً أن معظم المنتجات الصناعية الحرفية المشغولة في الموصل وخاصة المنسوجات تصدر لمناطق الولاية، وساهمت الموصل في تلبية حاجة المدن الاقليمية الأخرى ، ومنها : ديار بكر وحلب وبغداد ودمشق وتبريز وأرضروم وغيرها.

فكانت المواد الكتان والسجاد والحريير والصابون والفواكه والحبوب والأدوية والحبال مواد أساسية في التبادل التجاري ، مما أسبغ على تجارة الموصل صفة التنوع . ولقد صدرت الموصل أكثر مما استوردت، وكان هذا لبداية الحرب العالمية الأولى، وان صادراتها من الحيوانات بلغت 40% من مجموع الصادرات ، أما المواد الغذائية فبلغت 16%-30% من مجموع الصادرات إضافة الى النسيج والأحذية .

الموصل : رؤية اقتصادية وتجارية

وصف الموصل أحد الإداريين العاملين في الجيش البريطاني في سنة 1919 ، فقال : تبدو الموصل مدينة رائعة الجمال، وأنت تنظر لها عبر وادي يتوسطه نهر دجلة ، ويحيطها الكثير من التلال والجبال ، إنها مدينة كبيرة وهي واحدة من أنظف المدن التي رأيتها .. بيوتها مبنية من مادة بيضاء ، وطرقها مبلطة وجسرهما على دجلة وسورها السميكة ذو الثمانية أبواب وسكانها الذين يزيدون عن 90000 نسمة، وتجارها الكبيرة التي تعد ذات أهمية كبيرة لمدينة الموصل ، إنها بحق مركز تجاري مزدهم وممتد من النهر حتى عمق المدينة والتي يشكل رسمها شكلاً مخروطياً حيث يتخذ سوق تبادل العملات الصرافة حيزاً وركناً أساسياً²⁶.

ويضيف في وصف المركز التجاري للمدينة، يكاد الزائر لمدينة الموصل يجد نفسه محاصراً بالضوضاء والروائح والحركة والناس في أسواق مملوءة دكاكينها بالمنتجات المتنوعة وقد قدر عددها بأكثر من 2600 دكانا تتوزع في شوارع قد يضيق بعضها ليصل عرضه لأقل من 8 أقدام ، وتتنوع المنتجات من العطاريات والملابس والجلود ، ومعظم أسواقها متخصصة في نوع معين ، وتنتشر الجوامع في المدينة في المناطق التجارية والسكنية وتعد الجوامع بمثابة المؤسسات الأكثر زيارة²⁷.

الجدول 3

عدد البيوت والأبنية التجارية والمطاحن

²⁶ Sarah D Shield, Mosul Before Iraq: Like Bees Making Five-sided Cells, Amazon publisher, 1999, pp.22-24 .

²⁷ راجع : Loc. Cit. ولقد اهتم المؤرخ سعيد الديوه جي بجوامع الموصل ومدارسها الدينية في كتبه وابحائه . انظر كتابه : الموصل ام الربيعين ، بغداد ، 1965 .

البيان	1892	1908
بيوت	7714	9106
دكاكين	2677	2852
الخانات	23	34
مطاحن	135	318

Source: Sarah D Shields, Mosul Before Iraq: Like Bees Making Five-sided Cells, Amazon publisher, 1999 PP.68-70 .

لقد كانت المدينة تشهد رواجاً وازدهاراً اقتصادياً ، فتوسعت التجارة والصناعة وتراكت الثروة وانعكس ذلك على سكان المدينة ومحلات سكنهم فقد بلغ عدد الدور في المدينة 7714 داراً في سنة 1892 ارتفع عدد الدور إلى 9100 داراً في سنة 1908 ، وتطورت البنايات التجارية Buildings Trade ويقصد بذلك أماكن العمل ومن أهمها الخانات والقيصريات والمغازات فقد بلغت 34 في سنة 1908، لقد قادت التطورات الاقتصادية والتجارية إلى تطورات في جوانب مختلفة ومتعددة .

الموصل: تطورات علمية وثقافية وترفيهية

لقد قادت التطورات الاقتصادية بمختلف جوانبها الصناعية والحرفية والتجارية والزراعية والحيوانية والرعية إلى تطورات علمية وثقافية وترفيهية. ويمكن الوقوف على طبيعة تلك التطورات من خلال المؤشرات أدناه :

الجدول 4

عدد المدارس والمطابع والقهاهوي

نوع البيان	1892	1908
المدارس الدينية (المكاتب)	18	20
(المدارس الأهلية	12	17
المطابع	3	3
القهاهوي	45	62

Source: Sarah D Shields, Mosul Before Iraq: Like Bees Making Five-sided Cells, Amazon publisher, 1999, PP68-70.

إن قراءة تلك التطورات وانعكاساتها أشرت زيادة في المدارس الدينية الكتاتيب وزيادة في المدارس الأهلية ليبلغ عددها 17 مدرسة في سنة 1908 وانعكس على القهاهوي التي تعد المكان الترفيهي فازداد عدد القهاهوي من 45 في سنة 1892 ليصل إلى 62 قهوة في سنة 1908 .

المؤسسات الاقتصادية والتجارية والمالية في الموصل

شهدت الموصل في نهاية القرن التاسع عشر تأسيس عدد من المؤسسات الاقتصادية والتجارية والمالية، كما شهدت عقود النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأسيس مؤسسة بلدية الموصل²⁸ وذلك في 1869 ، وتم تأسيس المحاكم المدنية²⁹ في سنة 1879 ، وانبثقت منظمات لا رسمية منها غرفة التجارة والصناعات، وفتح بعد ذلك البنك العثماني فرعاً له في الموصل بوصفه المؤسسة المالية الأولى التي فتحت أبوابها في العراق سنة 1890 وكان هناك فرعاً في الموصل³⁰.

²⁸ أحمد الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ، مطبعة الجمهور ، 1970 .

²⁹ سيار الجميل ، زعماء وأفندية (سبق ذكره) ، ص 268.

³⁰ خليل الشماع ، إدارة المصارف مع دراسات تطبيقية في الصيرفة العراقية والمقارنة ، مطبعة الزهراء ، 1975 ، ص 105 .

الفصل الثاني

علي الجميل

مخضرم بين القرنين التاسع عشر والعشرين
السيرة الشخصية: العلمية والعملية

سيرته الشخصية والوظيفية

لقد اهتم بسيرته العديد من الادباء والكتاب والمؤرخين ، ومنهم الصحافي روفائيل بطي ، والقاضي ابراهيم الواعظ ، والمؤرخ سعيد الديوه جي ، والكاتب احمد محمد المختار.. كما واهتم بسيرته الأدبية حفيده الدكتور سيار الجميل .. ويمكنني أن استل مختصرا لبعض ما كتب عنه ، فهو علي بن حسين جلبي الجميل ، ولد بالموصل عام 1307 هـ / 1889 م ، ونشأ وترعرع في بيت علم وأدب وتجارة ، وطفق يكتب وهو ابن خمس سنوات ، وتعلم المبادئ الأولى على يد أخته الكبرى أسماء ، ودرس على أشهر علماء وادباء الموصل ، واختلف الى المدارس الأهلية والرشدية ، وعمل كاتب ضبط في المحكمة الشرعية عام 1326 هـ / 1908 م ، وفي العام 1909 ، غادر إلى استانبول وانتسب إلى الكلية الشاهانية العثمانية ، واشتغل هناك في القضية العربية رفقة بعض الشباب العرب ، ومنهم : زكي الخطيب ، ومحمد عزة الاعظمي ، وعبد الكريم الخليل ، ورستم حيدر وشكري القوتلي .. ثم عاد إلى الموصل ، وبدأ ينشر منشورات المنتدى الأدبي ، ثم صدر أمر إلقاء القبض عليه بعد أن كتب بيانا عنوانه " على رسلكم يا زعماء الاتحاد والترقي " ، فاختم في مضارب عربية ، ولوحق للقبض عليه بتهمة علاقته بالأحرار العرب الذين شنقوا في كل من دمشق وبيروت.. عاد إلى الموصل بعد صدور العفو عنه ، وكانت داره قد دوهمت عدة مرات ، واحرق أهله كل أوراقه القومية ومناشيره السياسية وكتبه .. وعمل معلما فخريا في المكتب الوطني نهاية عام 1327 هـ / 1910 م ، وبقي حتى العام 1330 هـ / 1911 م ، وكان قد طلب منه بعض اصدقائه من الأشراف السنوسيين تأليف كتاب عن دورهم النهضوي ، فنشر كتابه " التحفة السنوية في المشايخ السنوسية " بعد طبعه في مطبعة سرسم بالموصل عام 1911 م ، وكتب إهداؤه : (إلى أبناء الأمة العربية) ، فكان أول من استخدم مصطلح " الأمة العربية " في الثقافة العربية . وكان الأستاذ علي الجميل أول من أطلق مصطلح (الامة العربية) في مقالاته بمجلة المنتدى الأدبي التي ساهم في إصدارها وتحريرها بالأستانة عام 1909 - كما كتب الأخ سيار الجميل في ترجمته للمصطلح علي الجميل في كتابه زعماء وأفندية - وكان نجيب عازوري قد استخدم المصطلح أيضا ، ولكن باللغة الفرنسية لأول مرة عام 1909 م . ولكن يبدو أن الجميل قد تبذدت أحلامه بالأمة العربية ، فقد كان أول من استخدم مصطلح (الأمة العراقية) قبل ولادة الدولة العراقية وعند تشكيل المجلس التأسيسي .

اشغل علي الجميل بعد ذلك المحرر العربي بجريدة الموصل الرسمية ومترجم العربية في مطبعة الولاية 1331 هـ / 1912 م - 1333 هـ / 1914 م ، واستقال اثر اندلاع الحرب الأولى ، وتولى مهام باش كاتب غرفة تجارة الموصل عام 1334 هـ / 1915 م (بدايات الحرب العالمية الأولى) . وتولى وظيفة رئيس كتاب أوقاف الموصل على عهد مديرها اسعد أفندي العمري ، وكان من اعز أصدقائه ، للمدة 1337-1339 هـ / 1919 - 1921 م ، ثم استقال . وكان عام 1919 م وراء فكرة تأسيس النادي العلمي بالموصل ، وعقد المؤتمر الأول في بيته بمشاركة أكثر من تسعين عضوا يمثلون شخصيات الموصل وأعيانها ومتقفيها ، ثم أجاز النادي ، واصدر مجلة باسم " مجلة النادي العلمي " التي ترأس تحريرها علي الجميل ، وشارك العديد من مثقفي الموصل بالنشر على صفحاتها .. ثم أغلق النادي وسدت مجلته عام 1920 من قبل الانكليز بعد ان صدر منها تسعة أعداد .. وفي العام 1927

، اصدر علي الجميل جريدة صدى الجمهور اليومية ، فكان رئيساً للتحريير ، برفقة عبد الله فائق المحامي مديرها المسؤول ، وعيسى محفوظ ، صاحب امتيازها ، واستمرت في الصدور حتى رحيله إلى دار البقاء عام 1928 في مدينة حلب اثر عملية جراحية في الكلى ، ودفن بالموصل اثر وصول جثمانه إليها ، فبكاه كل سكان الموصل ، بعد أن افنقدوا صوته وقلمه ومكانته وخطاباته ومقالاته ، وترك من ورائه إرثاً صحفياً وثقافياً وعلمياً وأدبياً كبيراً

31

لقد اتسمت سيرته الوظيفية بالتنوع وهذا ما أكسبه خبرة كبيرة انعكست في أعماله وكتاباته التي كانت مستمرة العطاء منذ بداية شبابه ليس في الميدان الأدبي فحسب وإنما في الميدان الاقتصادي والتجاري والإداري، فقد أشرت أعماله الكثيرة إبداعاً وجرأة وتشخيصاً؛ مما جعله يواجه عدداً كبيراً من العقبات جعلته يترك وظيفة هنا ووظيفة هناك، وقد أشار إلى هذا بحالة الفساد واللغو التي تنتاب الجهاز الإداري آنذاك فأثر الصحافة ، ليكون مثقفاً حراً يعبر عن إرادته وأفكاره كما يريد .

إدارته الأعمال الخاصة

لقد مارس العمل الخاص، وأدار ثروة أبيه بعد وفاته في سنة 1914 التي كانت تضم عشرات القطعان من الغنم والجمال وكذلك تضم مجموعة من العقارات الموزعة بين الأراضي الزراعية والأبنية ومنها مملحة الموصل الواقعة في طرف المدينة الجنوبي وعدد من الدكاكين والكرجات في شارع القشلة (العدالة لاحقاً) وأعمال أخرى تجارية .

تنظيم غرفة تجارة الموصل سنة 1915

أشرت الوثائق بأن علي الجميل كان قد ساهم مع مصطفى جلبي الصابونجي في إدارة غرفة تجارة الموصل، وأسس لها نظاماً لتصنيف التجار وفق إمكاناتهم وقدراتهم المالية وعلى أربعة أصناف وقد كان لمهارته التي تميز بها دوراً كبيراً في ذلك ومنها إتقانه اللغة التركية وإتقانه فنون الخط العربي مما ساعده في أداء عمله إضافة لما كان يتمتع به من علاقات اجتماعية مع نخب التجار فقد وثق لثلاثة وتسعين تاجراً في الموصل مصنّفين على أربعة أصناف وفق المتعارف عليه في غرفة التجارة، وبين أماكن عملهم في 14 خان من أهم خانات الموصل ووضح المواد والسلع التي يتاجرون بها وسجل مناطق سكنهم في الموصل التي توزعت على 20 محلة سكنية في المدينة³².

النصف الثاني من القرن التاسع عشر: الازدهار الاقتصادي لمدينة الموصل

لقد عاصر الكاتب علي الجميل نهاية العهد العثماني فقد ولد في سنة 1889م، وكان قد تعلم ونشأ شاباً في العقد الأول من القرن العشرين، وعاصر الاحتلال البريطاني للعراق ، والحكم الوطني إبان الاستقلال، وقراءة في بعض الوثائق الخاصة التي كتبها بخط يده تؤشر حجم التغيرات التي بدأت مع بداية الحرب الأولى، وكم كانت كبيرة ومؤثرة تلك التغيرات والظروف التي أحاطت به وتلك التي عاشها العراقيون، ولاسيما في الموصل إبان الحرب العالمية الأولى، وما تلاها من أحداث لحين تأسيس الحكم الوطني، وما هي المظاهر الحياتية الاقتصادية والتجارية والمالية لا بل فقد شخص في مقالاته عدد غير قليل من تلك المشاكل، وحاول طرحها صحفياً من باب قناعته الكاملة بالشفافية وحرية الصحافة وكونها كما كان

³¹ لقد اعتمدت في كتابة مختصر سيرة علي الجميل على بعض أوراقيه الشخصية ، وعلى الترجمات التي نشرها كل من المؤرخين والاساتذة :

روفائيل بطي وإبراهيم الواعظ واحمد محمد المختار وسعيد الديوه جي وسيار الجميل وغيرهم .

³² سيكون هذا محل بحث ودراسة وستنشر بكتاب في غضون أشهر.

يطلق عليها القوة الرابعة أو صاحبة الجلالة³³، فقد كتب في عدد كبير من الصحف داخل وخارج الموصل.

كتب علي الجميل في إحدى رسائله الموجهة لأحد أبناء عمومته الحاج محمد العبد الهادي ، وكان يقيم في خارج العراق عام 1915 ، يقول:

(أما نحن وعائلتنا فقد ذقنا أنواع البلايا وضروب الرزايا فأول ما أصابنا صادرت الحكومة التركية أغنامنا من سوريه والموصل ثم أخذتنا ونحن ثلاثة أخوة تحت السلاح للخدمة الجندية وقد كان البديل ممنوعاً فبقى منا في الموصل إخوان وسافر إلى حلب اثنان ثم توقفت إلى دفع البدلات)³⁴

كتب علي الجميل هذه الرسالة وهو بعمر لا يتجاوز 25 سنة، وقد دون عدد كبير من الحقائق من هذه الحقائق الخسائر الكبيرة التي تعرضت لها مدينة الموصل وأهلها بمصادرة الأغنام والإبل علماً أن والده كان أكبر مالكي الأغنام في الموصل خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر لغاية بداية الحرب وقد تجاوز عدد الرعاة الماسكين لأغنام أبيه حسين جلبي الجميل الخمسين معظمهم من عشيرة طي الأسنان³⁵ والحديديين والعوجان وغيرهم كثير، وكانت اغنامه تنتقل بين سوريا والموصل، وتعتبر لشمال الموصل في مواسم الجفاف عبر جسر الموصل الخشبي، ويروي أحد العاملين مع حسين جلبي الجميل أنه في إحدى سنوات قبل الحرب الأولى بدأت بعض من قطعان حسين الجميل تعبر النهر وينبغي تعداد رؤوس الغنم لدفع ضريبة العبور على الجسر فبدأ العداد بالعد ، ولم ينته فتعب وضجر ، وبدأ بشتم الغنم وصاحب الغنم فصادف وجود حسين الجميل وراءه فسمع كل الشتائم والسب بحقه ، فما كان منه إلا أن فتح كيس ليراته ، وكافأه بليرة ذهب ، فعاد العداد للعد نادماً متأسفاً³⁶.

لقد شهدت سنوات ما قبل الحرب ، استعداد القوات التركية والتهيو لها ، فسيطرت على الأموال المنقولة من غنم وإبل وموئن من حبوب وغير ذلك ، وفرضت قوانين الخدمة الإجبارية للسفر برلك ، فالتحق عدد غير قليل من أبناء الموصل عدا استثناءات معينة منها من هو قائم على خدمة مسجد أو جامع، وما أن اندلعت الحرب ، حتى بدأ الغلاء والركود الاقتصادي يهيمن على الموصل، واجتاحتها أشرس مجاعة عرفتها المنطقة ، ولكنها كانت خاتمة المجاعات التاريخية التي كانت تضرب المنطقة من حين إلى آخر³⁷، ولكن بعد تأسيس الحكم الوطني في العراق بدأت ملامح تغيير بطيء وسيكتشف القارئ حجم الضرر الكبير الذي أصاب الموصل خاصة، والعراق عامة بعد قراءته لهذه المقالات.

³³ علي الجميل ، صاحبة الجلالة أو القوة الرابعة ، العدد 29 ، الخميس 2 حزيران 1927 .

³⁴ رسالة بتاريخ 9 رمضان 1337 .

³⁵ ورد في وثيقة كتبها علي الجميل بخط يده أن رئيس عشيرة طي الاسنان من أهم رعيان والده حسين الجميل في النصف الثاني من القرن العشرين ، وهذا ما أكدته Sarah Shields في الفصل الخامس من كتابها:

Sarah Shields, Mosul before Iraq, pp.173-174,

إذ تشير إلى دور رئيس عشيرة طي في تزويد فرنسا وبريطانيا بالصوف من الموصل.

³⁶ رواية المرحوم محمد علي السلطان ، خبير الدباغة في شركة الدباغة في الموصل سنة 1970 .

³⁷ Sayyar Al-Jamil, "IRAQ " in- "Irak" chapter 17 in the **History of the Scientific and Cultural Development of Mankind**, New edition. (Paris, Unesco, 1999).

أرّخ علي الجميل حقبة زمنية معقدة عاشها منذ ولادته سنة 1889 وحتى تاريخ كتابته لهذه المقالة في بداية 1927، ويكفي قراءتها ليكتشف القارئ بنفسه مقاربة الأمس باليوم: كتب يقول وتحت عنوان الخوة³⁸

الخوة

الخوة رسم ما أنزل الله به من سلطان كما أنه لم يسنه قانون مدني بل أن القوانين الإلهية والمدنية تنص برفعه لأن ذلك الرسم الذي يسمونه خوة إنما هو بدعة غير مستحسنة تركها لنا الدور الحميدي وفات. والدور الحميدي ، دور لم يكن ليسئل فيه من يأتي بأي بدعة تكون سواء كانت كبيرة أو صغيرة حسنة أو غير حسنة، كلنا موصليون وكلنا نعلم كيف ضربة الخوة في أول أمرها على أصحاب الأغنام ، ضربت جزوية جداً بدرجة كان يرتاح لها من يعطيها لأنه كان يظن إنما يعطي صدقت أو يعطي فضلة أموال كما هو شأن الزكاة . حتى إذا ما تجسّم إهمال الدور الحميدي، واستفحل سوء انتظام الإدارة، وأصبح كل أحد يفعل ما يشاء، ويأكل القوي الضعيف، وأصبحت العشائر القوية تغزو العشائر المستضعفة، وليس هناك من يأخذ بيد المسكين ، أو يعير شكواه بعض الاهتمام أخذت رؤساء أشقياء تتعهد لأصحاب الأغنام بأمر محافظتها من المتغلبين على أن يأخذوا ما هو متعارف بدرجة – لا ضرر ولا ضرار – ثم توالى الأخذ ، ثم تضاعف الأخذ بتضاعف الاهیالات وبتضاعف النفوذ حتى تطور الأخذ فأصبح غصباً ونهباً، وإذ ذاك حدث الانقلاب العثماني ، فقام أصحاب الأغنام بالمراجعات وبت الشكوى، وأخذت الحكومة تتخذ التدابير لقمع تلك العادة التي استفحل أمرها، والعادات قاهرات؛ لذلك لم تكن لتتمكن من قمعها بصورة الإمحاء بل أخذت تعامل أولئك الأشقياء بالترهيب والتخويف حتى قدم الموصل سليمان نظيف بك والياً لها ، فأعاد أصحاب الأغنام شكواهم إليه، وأذ ذاك كان في الموصل أحد أشقياء الذين يأخذون الخوة قد قدم لأجل استيفائها داخل المدينة من التجار ، فقبض عليه ، وأوتي به بين يديه ، وقد كنت شاهدته بأمر رأسي أمام باب دار الحكومة مكتوفاً يضرب بالأسواط وسليمان نظيف بك واقف على رأسه وقد أحاط به المتفرجون، وبعد أن أشبعه أسواطاً ، قال له : قم وأذهب لأخذ الخوة وأصنع ما تريد فأنا في الموصل. فقام البدوي مهرولاً لا يلوي على شيء يقسم بأنه قد حرّم الخوة على نفسه طالما الأمر كذلك. ثم حدث النفي العام وأنت الحرب العوان والتهمت الهمجية الانتظام والنظام ، فأخذوا يفتكون وينهبون حتى يوم الاحتلال حيث دخل الموصل الكولونيل لجمن ، فماتت الخوة واستراح الناس سنة أو سنتين، ولكن الظروف التي جابهت حكومتنا الفتية، والمشاكل التي أحدثتها التطورات ، أعادت الخوة إلى الحياة تارة أخرى، ولو كانت بصورة عادلة لما تدمر منها الأهلون، ولكنها أصبحت بدرجة لا يصح السكوت عليها، وهذا الذي حدى بأصحاب الأغنام لرفع شكواهم إلى مقام المتصرفية العالي.

أما وقد استلقت المسألة الآن أنظار سعادة متصرفنا الحازم الهمام، وأعارها الهممة المأمولة من مثله ، فلا نشك بأن الخوة سيتضائل أمرها بعد قليل من الأيام، وما ذلك على أرائه السديدة بكثير.

ثلاث حقب زمنية

³⁸ علي الجميل ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 3 في يوم الاثنين 28 شباط 1927 .

عاصر الاستاذ علي الجميل (1889 – 1928 م) فترة حرجة من تاريخ العراق الحديث ، فتكاد حياته تغطي ثلاث حقب: نهاية الحكم العثماني ، والاحتلال البريطاني ، وبداية تأسيس الحكم الوطني، وهذا التباين الزمني قد عكس بشكل مباشر وغير مباشر الوضع السياسي خلال تلك الحقبة الزمنية ، فكان لها تأثيراتها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العراق، وقد انعكست على كل كتاباته، ولاسيما في الجانب السياسي، وان قراءة لسيرة الرجل ومعطياته وخطابه ، أو أدبياته ونتاجه المعرفي المتنوع ، تؤشر بشكل واضح ، تلك التباينات والاختلافات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لا بل فقد بيّن عبر مراسلاته تفاهم الأحداث وآثارها، ويمكن تصنيف نتاجه المعرفي إلى ما يلي:

الأدب والشعر

وقد اهتم علي الجميل بالشعر في بداية حياته ، ونظم الكثير منه، وتفوق في عدد كبير من القصائد التي انتشرت بشكل كبير ، ليس في الموصل فحسب ، بل في الاستانة وبغداد وحلب .. وكان معظم شعره في السياسة والغزل والاجتماع ، وله في المدح والنقد والوصف والنسيب والحنين الى الوطن .. وقد برز أيضاً في الهزج ونشر معظم شعره في الصحف العراقية والعربية ، ومنها : جريدة الموصل، وجريدة النجاح ، وجريدة اللسان ، ومجلة المنتدى الأدبي ، ومجلة النادي العلمي وجريدة صدى الجمهور، ونظم في عدد من المناسبات والتهاني والدعوات ، وأرخ عدد من المساجد مثل الجامع الأموي ومسجد إمام إبراهيم، وقد زين شعره جامع النبي يونس بمناسبة زيارة الملك فيصل الأول له في 12 تشرين الأول / أكتوبر سنة 1921، فقد زين كل جدار من جدران المسجد ببيت من الشعر ، ونشر في جريدة الموصل العدد 434 يوم الأربعاء 12 تشرين الأول / أكتوبر سنة 1921. أما في الأدب ، فقد برز في مقالاته ومحاضراته، وكتب القصة والمسرحية والمقالة وبرز في النقد الأدبي والاجتماعي، ولاسيما في العقد الثالث من عمره، وتوجت بمحاضراته الشفوية التي ألقاها في النادي العلمي بعنوان " آداب اللغة العربية " ونشرت في مجلة النادي العلمي العدد 2 30 كانون الثاني / يناير 1919³⁹ .

كتاباته وخطبه السياسية

كتب في السياسة إبان العهود الثلاثة التي عاصرها، وقد غلب عليه الاتجاه القومي العقلاني ، فهو من طبقة المتنورين العقلانيين - كما وصفه الدكتور داوود الجلبي في تأبينه له - وكان من مؤلفات علي الجميل في العهد العثماني كتاب "التحفة السنّية في المشايخ السنوسية " وقد نشره في بداية حياته ، وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر ، وبالتحديد سنة 1331 هـ / 1914 م ، وأعقب ذلك بعدد غير قليل من المقالات والخطب التي تعالج القضايا السياسية نشرت في عدد من الصحف العراقية والعربية ومنها جريدة الموصل ومجلة النادي العلمي .. وفي إطار نضاله إلى جانب أخوانه من مثقفي الموصل دفاعاً عن هويتها وعراقتها كمدينة وولاية ، ولقد كانت له جهوده البالغة بهذا الشأن في جمعية الدفاع الوطني بالموصل .. جاء في خطبة ألقاها في رحاب تلك الجمعية ، وبمناسبة الحفلة التكريمية التي أقامتها الجمعية لتكريم فخامة حمدي الباجه جي قال علي الجميل فيها⁴⁰ :

³⁹ علي الجميل ، آداب اللغة العربية ، محاضرة نشرت في مجلة النادي العلمي ، العدد 2 في 30 كانون الثاني ، 1919 .

⁴⁰ علي الجميل ، خطبة جمعية الدفاع الوطني ، جريدة الموصل العدد 927 في 25 شباط 1925 .

"حيّ الله قلوباً خافقة بحب أوطانها، ونفوساً لا تقيم على الضيم، وأرواحاً لا تعشق إلا العز والمجد والسؤدد إلا تحت لواء الاستقلال، ثم أهلاً بك أيها الرجل الكريم، والضيف العزيز قدمت أهلاً ووطنت سهلاً لئن أوفدك إخواننا البغداديون للسلام علينا، وتجنيد أعمالنا في سبيل قضيتنا فما ذاك إلا بعض ما تقتضيه شهامة أبناء العاصمة ولا فخر لنا بذلك، ولا منة على أحد بما قمنا به من التفاني في سبيل قضيتنا الوطنية، فالجهاد في سبيل الحق، واجب في ذمة كل من عرف الحق، وعرف معنى الحق، وما نحن وأنتم إلا كأفراد عائلة واحدة العربية تربط بيننا، واللواء العراقي المقدس يضمنا خلقتنا عرباً وعشنا عرباً وسنموت عرباً ونبعث عرباً رغم كل معارض أو معاند".

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
وفي الختام إهتفوا معي قائلين فلتحي البلاد العراقية مرتبطة لا تتجزأ وليحيى ملك العراق فيصل المعظم.

انه في خطابه المؤثر هذا، هو تأكيده هنا على العروبة والهوية العربية، إنما أراد الوقوف بوجه مطالب تركيا بالموصل.

مقالاته في التربية والتعليم

كتب علي الجميل عددا كبيرا من المقالات في مجال التربية والتعليم، وقد ركز على إصلاح المعارف⁴¹، ويقصد بذلك إصلاح المؤسسة التربوية وتناول المرأة والمعارف⁴²، وناقش قضية التعليم ومشاكل التعليم والتربية وعرض لمظاهرها السلبية، وانتقد الأساليب القديمة التقليدية المتوارثة، وحث على معالجتها فتارة يوجه خطابه لنواب الأمة العراقية، وتارة يوجه خطابه للمؤسسة المعنية بالتربية، وهي دائرة المعارف ووزارتها وقد ركزت مقالاته على نقد المؤسسة التربوية وطرح المقترحات لمعالجتها، ناهيك عن اهتمامه بالنشء العراقي الجديد، وضرورة تربيته وتعليمه على أسس علمية ومناهج متطورة. إن المعارف، تعد بالنسبة له اللبنة الأساسية لبناء دولة جديدة وتطوير مجتمع.. لقد طالب أيضا بتأسيس مدارس في كل الاقضية والنواحي والقصبات والقرى العراقية.. ويعد الرجل أول داعية لتأسيس رياض الأطفال، واعتماد المدارس على أساتذة ومعلمين ومربين اكفاء جدا. لقد ركز الكاتب تحقيقاته على المؤسسة التربوية التي تسمى المعارف والمدارس من رياض الأطفال لغاية أعلى المدارس والمعاهد فينشر في مقالة عنوانها (هل من روضة للأطفال) حيث يقول ما نصه (.... فهذه المدارس الأهلية القديمة قد غلق أكثرها، وهذه المدارس الرسمية لا تقبل في صفوفها إلا من اجتاز السبع سنوات فهل للمعارف أن تنتظر في هذه القضية وتفتح روضة للأطفال مثل الروضة التي قد فتحتها البعثة الأمريكية في هذه المدينة وفي المدن الأخرى....)⁴³.

⁴¹ علي الجميل، روح جديدة في المعارف، جريدة صدى الجمهور، العدد 75 يوم الخميس، 1 كانون الثاني 1927.

⁴² علي الجميل، المرأة والمعارف، جريدة الموصل، العدد 323 في 17 كانون الثاني 1921.

⁴³ علي الجميل، هل من روضة للأطفال؟، جريدة صدى الجمهور، العدد 92 في يوم الخميس 16 شباط 1928 25

مقالاته بنقد المجتمع ومؤسساته ومظاهره

ركزت مقالات علي الجميل في السنتين الأخيرتين من حياته على نقد المجتمع ومظاهره السلبية في الأخلاق، والتعامل، والبطالة، والصحة.. والمرأة وبناء الجيل الجديد.. كما دعا إلى التعايش بين السكان من خلال المودة والاحترام المتبادل، وإزالة التفرقة، فكانت مقالات تصويرية يمكن لقارئها أن يضع أطراً لمجتمع العشرينات بكل سلبياته وإيجابياته.. لقد اعتنى بالمرأة عناية فائقة، وكتب أكثر من مقال عن حقوقها وعن دورها في الحياة، وعن كيفية التعامل معها، فهي نصف المجتمع، وكتب يحثهن على تحصيل العلم والثقافة وعلى المطالبة بحقوقهن المهضومة.. كما اعتنى بالأطفال عناية بالغة وانتقد إيذاء الأطفال، أو تكليفهم بالأعمال.. ونادى بروضة للأطفال وتعليم الأجيال - كما ورد في أعلاه -.. ويعتبر علي الجميل من أوائل الكتاب العرب الذين انتقدوا ظاهرة التدخين كونها مضرّة بالصحة. يقول في مقال له عنوانه " حماية الإنتاج الوطني " : (لا أحد ينكر علينا، بأن استعمال التبغ هو من الأمور المضرّة بالصحة العامة، ولذا نرى أن جميع رجال الطب يحرمون على البشر التدخين حرصاً على الصحة - التي هي أهم أركان الإنتاج) . فضلاً عن هذا وذلك، فالرجل كان يدعو الحكومة دوماً لحماية الإنتاج الوطني، ويرى ان مكوث الثروات بين الامم، هو الذي يقويها ويقف معها أيام الشدائد والمحن.. كان علي الجميل - أيضاً - أول من طالب بتأسيس نقابات ترعى الإنتاج وتصون العاملين وتحافظ على حقوقهم الوطنية.. فضلاً عن ذلك، فقد صدقت توقعاته عندما خشى على العراقيين أن يأتي غيرهم ليخدمهم وينتج بدلهم !!

رأيه في الصحافة

لقد بين علي الجميل رأيه أكثر من مرة بالصحافة واعتبرها السلطة والقوة في حياة كل من الدولة والمجتمع..، وهي التي يمكن للصحافي من خلال تغير الواقع وتحفيز المجتمع وكشف العيوب والسلبيات ومعالجتها، فيقول :

(.... وإذا كان الأمر كذلك فليفتح القوم عيونهم، وليعلموا أن كل رجاء، وكل التماس، وكل سيطرة، وكل توعيد يقع حول الانتخاب إنما هو ظلم وظلم وويلق به المطامع عن مطامعهم، ولينصرفوا إلى بيوتهم فيستريحوا فيها، ولكن قبل أن ينصرفوا يجب عليهم أن يعرفوا أن الصحافة اليوم تلقب - بصاحبة الجلالة - وأن لصاحب الصحافة ولمحررها، منزلة فوق كل منزلة، وحينئذ فليذهبوا بدورهم ليستريح الناس)⁴⁴

ويضيف في مقالة أخرى:

(.... لا نريد أن نلقي التبعة شيئاً على الحكومة من جهة الأخلاق والعادات، فيكفي الحكومة ما تقاسيه من التعب في سبيل إصلاح البلاد، وسن الأنظمة والقوانين، ومحافظة البقية الباقية من ثروة البلاد، إنما التبعية الناتجة من تأثير الأخلاق والعادات هي على الصحافة، وذلك فرض عين عليها، فإنها مدرسة العامة وبها تقوّم الأخلاق وهي مرشدة الأمة وواعظة لأبناء البلاد، فليقف الصحافي وقفة حر جريء يجاهد ويناضل بين أبناء وطنه ويتفقد أخلاقهم، ويدقق عاداتهم، وليكتب منتقداً أو ناصحاً ما شاء الله أن يكتب عسى أن يعود ذلك

⁴⁴ علي الجميل، لا وراثه في البلدية، جريدة صدى الجمهور العدد 131 في يوم الخميس 19 تموز 1928.

بشيء نافع ، وعلى أبناء البلاد أن يدققوا ما يكتبه ويحاكموا أنفسهم بأنفسهم وحينئذ يتبين لهم الحق من الضلال)⁴⁵.

ويشكر علي الجميل في جريدته الحكومة وعبر مقالة بعنوان (شارع غازي) والذي كانت الجريدة قد اقترحت لتسمية الشارع الجديد بشارع غازي ، يقول : (أما وقد عطفت الحكومة الموقرة أنظارها الجلييلة على ذلك الاقتراح الذي اقترحت " صدى الجمهور " في أحد أعدادها السابقة فقد وجب علينا أن نقدم إليها آيات الشكر)⁴⁶

ويسخر علي الجميل من بعض الصحف في الموصل ، فكتب في صحيفته وعموده الصحفي (حديث الليل)⁴⁷ ما يأتي :

(ومن أعجب ما صدفناه أننا مررنا بمستوصف حضره الصديق الدكتور عبد الأحد عبد النور لأجل السلام عليه ، فوجدنا بين يديه رجلاً أصفر اللون أعوج الأنف ، قد قدم إليه يده ليحس نبضه ، وهو يتذمر من زيادة الأرق ، ومن قلة النوم فما كان من حضرة الطبيب إلا أن قال له أحسن منوم لك هو تقرأ جريدة الموصل)⁴⁸.

لقد مارس الأستاذ علي الجميل الصحافة بمهارة عالية الخبرة ، فمتابعة لصحيفة صدى الجمهور خلال مدة صدورها 2007 – 2008 ، يلاحظ المتابع أن الصحيفة كانت تمارس المتابعة والرقابة المجتمعية في الموصل وأقضيتها ونواحيها وقراها في مؤسساتها ودوايرها ناهيك عن كتابة التحقيقات الصحفية التي تخص العراق من شماله إلى جنوبه وتجد رئيس تحريرها الأستاذ الجميل يعرض المشكلة بكل شفافية ويضعها أمام الحكومة .

لقد عدّ الأستاذ علي الجميل من قبل العديد الصحفيين العراقيين مؤسساً ورائداً حقيقياً للصحافة في الموصل منذ أن حرر مقالاته الأولى في جريدتي الموصل والنجاح ، واعتبروه مدرسة تخرج فيها العديد من الصحفيين الموصليين الذين كان لهم باع طويل في هذا الميدان⁴⁹ .. ويعزى نشاطه الصحفي وخبرته المتقدمة إلى أيام الأستانة ، وكثرة مراسلاته وإطلاعه على أرقى ما كان ينتج صحافياً في فرنسا وتركيا ومصر ولبنان .. إذ تشهد مكتبته الشخصية التي تركها ركاباً مصنفاً ومجلداً ومحافظاً عليه من الصحف والمجلات بالعربية والتركية والفرنسية.

مقالاته في الاقتصاد والمال والتجارة

لقد نشر علي الجميل عدة غير قليلة من المقالات في الاقتصاد والمال والتجارة خلال عدة السنوات بين 1919 – 1928 ، ولاسيما في السنوات 1927 و1928 ، ناقشت في عناوينها ومضامينها ، أبرز المشاكل الاقتصادية والتجارية والإدارية التي كان يعاني منها العراق ، فكانت بمثابة مناقشات للإصلاح ، ونداءات في التوجيه ، ومبادرات في المعالجة ووصف

⁴⁵ علي الجميل ، إلى متى ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 59 ، الخميس 29 أيلول 1927 3 ربيع الأول 1346

⁴⁶ علي الجميل ، شارع غازي ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 28 في يوم الاثنين 30 مايس 1927 المصادف 29 ذي القعدة 1345 .

⁴⁷ تم جمع المقالات العمود الصحفي " حديث الليل " في كتاب غير منشور عنوانه حديث الليل سيجد طريقه للنشر إن شاء الله .

⁴⁸ علي الجميل ، حديث الليل ، جريدة صدى الجمهور ، (وهو كتاب مخطوط سينشره قريباً الأخ الدكتور سيار الجميل)

⁴⁹ من أبرز أصدقائه وزملائه الذين أشادوا بمكانته وريادته : سليم حسون وتوفيق السمعاني وخير الدين العمري وإبراهيم الواعظ وروفانيل بطي وعبد الله فائق المحامي وسعد الدين زيادة .. ومن المحدثين أبناء الجيل الثاني : عبد الباسط يونس ومجيب حسون وغيرهم.

الأساليب التي رآها أساسية باتخاذ القرار الصحيح مبرزاً الإيجابيات والسلبيات لموضوع المناقشة، - وهذا ما نحاول التركيز عليه ومعالجته في هذا الكتاب - ، فقد كتب بعض المقالات في الموازنة العامة للدولة ، والضرائب ، والإنتاج الوطني وكيفية حمايته، وكذلك هناك بعض المقالات في التجارة ، وتشجيع التاجر، ومقترح بتأسيس مصرف للزراعة في العراق ، علماً أن تاريخ تأسيس أول مصرف زراعي وصناعي في العراق قد جاء بعد كتابة علي الجميل مطالبته بذلك في هذه المقالة بستة سنوات.

جاء في مقال له عن " الوطنية وأبنائها " ، وهو جزء من كتابه " حديث الليل " يقول : (.. كم بين جدراننا ممن يحب سعادة الوطن وهم ما بين رفيع ووضيع وصانع وفلاح وتاجر وكاتب ومستخدم يصدعون بحب الوطن ويضجون بطلب الرقي ولكن الساعين في السبيل المستقيم المتطلبين للحقيقة لا نجد لهم أثراً والقائلون كثيرون وقليل الفاعلون العاملون) . ويتابع قائلاً ، كي نستشف فلسفته في الوطنية ، ورؤيته للعمل والإنتاج : (.. قل لي بحياتك ما هو حب الوطن وأبناء الوطن يحتاجون إلى ورق التين ليتخذوه كساءً إن أغلقت المعامل الإفرنجية أبوابها دونهم. ثم قل لي ما يجدينا أو يجدي المريض الذي أشرف على الهلاك نفعاً إن سدت الحكومة مستشفياتها الرسمية أو مدارسها الطبية. بل ما نضعه بأبناء أمتنا إن أغلقت المدارس الرسمية العلمية التهذيبية. أفلم يأمرنا الدين القويم بالتعاون على البر، أليس التعاون والتعاقد على ما فيه المنفعة الوطنية والمصلحة الاجتماعية من البر، أليس فتح دور للعجزة ومأوى للأيتام وملاجئ للأرامل ومستشفيات للمحتاجين ومدارس للمتعلمين من البر، أليس تأسيس الشركات الصناعية والزراعية والتجارية على اختلافها من البر، أليس مساعدتك لأخيك على صيانة حقوقه من البر)⁵⁰ .

ويتابع مناشداته ، قائلاً : (منذ نعومة أظفاري كنت أسمع أن قسماً من تجارنا عمدوا إلى جلب معمل للأقمشة والمنسوجات الصوفية وأبرقوا البرقيات وأوعزوا بالكتب والرسائل لجلب الأدوات فشبيت وكدت أبلغ من الكبر عتياً ، ولم تسعد عيني بمشاهدة ذلك فما أكبر القول وما أقل العمل؟

لا أظن أن حكومة من الحكومات المتمدنة تمنع تأسيس شركة ، أو تغلق باباً تكون فيه المنفعة الوطنية . ولا أرى من الحكمة أن نعتمد في جميع حوائجنا الضرورية على الغير ، والمثل يقول - ما حك جسمك مثل ظفرك - يرحم الله السلف الصالح عملوا لدينهم وأخرتهم بقدر ما استطاعوا وتلك آثارهم هي أحسن ذكرى يخلد لهم التاريخ فهم أحياء بآثارهم وإن كانوا تحت الصفائح من اللحد. خلقوا لزمان وخلقنا لزمان غيره فأسسوا المدارس والجوامع والمعابد وجعلوا لها أملاكاً موقوفة عليها وذلك رحمهم الله غاية جهدهم. فخلقوا خلفاً ما زال أكثرهم ناقمين على الزمان عاتبين على الدهر يندبون سوء الطالع ويشتكون بأنهم لم ينالوا حظاً من حقوقهم ومن منا لا يضمن لهم النجاح إذا جعلوا العقل والتدبير قائدهم وقاموا لخدمة الوطن متعاضدين متناصرين قد نبذوا البغض والنفاق والنزاع

⁵⁰ جريدة الموصل ، العدد 235 ، 23 حزيران 1920 ، 7 شوال 1338 هـ (ومن مخطوط كتابه : حديث الليل)

والشقاق واقتدوا بأسلافهم فالتحقت أسمائهم بأسماء أولئك الرجال العظام. أنا مثلك أيها الوطني أدعي الوطنية وأصدح فيها بين رفقائي بين جدران داري وتحت قبة غرفتي وأنا متكئ على السرر المتقابلة وأتحمس وأهمهم وأغمغم ولكن معترف بكذبي إذ ليس لي بنية أثبت بها مدعائي إذا أقيمت عليّ الحجة وطلب مني البرهان فما أكثر القول وأقل العمل.

واخيراً ينتهي بالنتيجة التالية : (.. الوطن يطلب منا أموراً كثيرة عظيمة لا نستحق أن نحمل لقب الوطنية ما لم نقم بواحد منها أو نعاوض غيرنا من القديرين عليها) .

**ومن كان إنساناً ويعرف نفسه
فلا ينزوي عن خدمة الحق جانباً⁵¹**

⁵¹ المصدران نفسيهما .

الفصل الثالث

تحليل اقتصادي لمعطيات صحفية

مراجعة في الأدبيات الاقتصادية للنظرية التقليدية

تقوم النظرية الاقتصادية على سلسلة من العطاءات الفكرية المنهجية العلمية ، والتي بدأت ، كما يؤكد الاقتصاديون بآدم سميث ، تلك التي أطلق عليها ب " النظرية الاقتصادية التقليدية " ، وطورها كل من : ديفيد ريكاردو ومالثوس وميل ومارشال وبيجو .. وتمتد الفترة التقليدية من عهد آدم سميث بكتابه المعروف " ثروة الأمم Wealth of Nations " الذي نشر عام 1776 ، ولغاية جون ستيورات ميل في كتابه " أسس الاقتصاد السياسي Principles of Political Economy " الذي نشر عام 1848 والذي أثراه ديفيد ريكاردو بملاحظاته وشروحاته وآرائه .⁵²

كذلك ساهم الفرنسيون بمساهمات كبيرة ، في إثراء الاقتصاد الزراعي ، بدعوى أن هذا القطاع يمثل مصدراً لكل ثروة الاقتصاد، فيما رفض آدم سميث هذه النظرية ، وذكر بالتطور الصناعي وأهمية قيمة العمل وإنتاجية العمل، وأن العمالة هي في حقيبة الأمر مقياساً للقيمة. لقد اتخذ ريكاردو ، هذه الفكرة ، واقترح نظرية الأسعار النسبية المبنية أساساً على كلف الإنتاج، وعلى الرغم من كل ذلك ، فقد قبل ريكاردو نظرية كلف رأس المال ، وأن له الدور المهم في تطوير إنتاجية العمل ، وكذلك في جعل العمالة أن تديم استمرارها طوال فترة انتظارها قبل العمل والإنتاج.⁵³

⁵² Graham Bannock , R.E.Baxter & Ray Rees ,Economics , Penguin Books ,1982. PP.74-75.

⁵³ Graham Bannock , Ibid , P74 .

إن الفكرة القائلة بأن الأجور تستند على ما يسمى (Wage Fund Theory = نظرية الأجور المالية) التي تنص على أن الأجور تعتمد على قوتين رئيسيتين، القوة الأولى: الطلب على العمل ، وتشتق هذه القوة من حجم المتاح من رأس المال أو الادخار أو تمويل الأجور . والقوة الثانية: العرض من العمل التي تعد ثابتة في الأمد القصير ، ولكنها تعتمد أمدها الطويل على مستوى المعيشة، وأن ذلك مرتبط بمستوى البقاء أو الوجود ، وهذا لا يعود إلى ضروريات معينة لاستمرار المال على قيد الحياة، وإنما تحكمها عوامل العرف الاجتماعي ، ودرجة قبول مستوى الحياة المعيشية ومستوى تحسنها.⁵⁴

أعقب ذلك مالثوس في نظريته حول السكان والتي أشرف فيها الحاجة وأهميتها، وأن الميل الطبيعي للنمو السكاني ، يتقدم بخطى كبيرة وسريعة على نمو الإنتاج الزراعي، وقد حلل ريكاردو المضامين الحقيقية لإنتاجية الأرض وهامشها التراكمي، وبينما كان آدم سميث والطبيعيون قد عزوا الربح الزراعي لخصوبة التربة ، فإن ريكاردو ، رفض الفكرة أساساً ودحضها. وأن سبب وجود الربح يتمثل في انخفاض الخصوبة مما يعني قلة تراكم الثروة.⁵⁵ أما المنافسة ، والأرباح ، وكلف العمالة فهي كلها بإطار واحد مما يعني بأن الفائض المتحقق من الأراضي يجب أن يكون متساوياً في كل الأراضي، ويقصد بالفائض الربح، والافتراض في هذا الشأن ، أن المنافسة هي الأساس للنظرية التقليدية. ويعتقد الاقتصاديون التقليديون بأن الأفراد ، يمكنهم ، بحبهم العمل وطموحهم وبوجود المنافسة وحرية العمل في المجتمع من تحقيق منافعهم ، وإن المجتمع سيحقق النفع المطلوب والمنشود من مجموع أفراد.⁵⁶ وكان " آدم سميث " قد أشرف معناه : "أنا نأكل وجبتنا في الغداء ليس من صدقات القصاب ، ونزعت الخيرية ، وحبه للعمل ، وإنما من دافع منفعة الخاصة"، ونتيجة لذلك ، فقد خلص التقليديون ، بأن أفضلية الحكومة يجب أن تبقى بحدها الأدنى، وهنا أعطى ووضح الاقتصاديون التقليديون جانباً من الاقتصاد الكلي ومشاكله، ومنها الدورات التجارية، فيما ذهب معظم الاقتصاديون التقليديون بقبول قانون الأسواق " Says Law " ، بينما رفض مالثوس ذلك، وقال إن زيادة الادخار لا يمكن أن يقلل الاستهلاك بل يزيد الإنتاج من خلال زيادة الاستثمار ، وقد لاقت نظريته رفضاً وعدم قبول.⁵⁷

لقد تمسك الاقتصاديون التقليديون بما فيهم مالثوس بنظرية الادخار ومسارته مع الاستثمار من خلال تغيير سعر الفائدة، واستمر تأثير التقليديين بأرائهم وأفكارهم في عدد كبير من المؤسسات الفكرية وأراء المفكرين ليومنا هذا فما زال الاقتصاديون التقليديون يذكرون وتناقش آراءهم وتدرس نظرياتهم في معظم الجامعات في العالم.⁵⁸ كتب Evertt E. Hagen إن ما جاء به آدم سميث ومن تلاه من الاقتصاديين كانوا ينظرون إلى حالة التشغيل من منظور القوى التي تحدد السلع المنتجة وما هي نسبية قيمة الأنواع المختلفة من السلع والموارد المختلفة ، وكيف أن يوزع الدخل على قوى الإنتاج، وهذا بالتأكيد ، قاد إلى الاستنتاج بأن القوى التي تعمل في النظام الاقتصادي تميل للمحافظة

⁵⁴ M.G.Mueller, Readings in Macroeconomics , See Everett E .Hagen , The Classical Theory of The Level of Output and Employment, The Dryden Press, 1971 , PP3-15.

⁵⁵ Graham Bannock , Ibid , P. 74.

⁵⁶ Ibid .

⁵⁷ Ibid.

⁵⁸ Ibid.

على حالة التشغيل الكامل والمحافظة على الإنتاج ومستواه تحت ظروف التشغيل الكامل من دون تضخم.⁵⁹

إن ما كتب في الاقتصاد بدءاً من آدم سميث سنة 1776 ، وما تبعه من كتابات اقتصادية شكلت النظرية الكلاسيكية، ومن بعدها النظرية الكلاسيكية الجديدة ، إلا أن ما يجب الإشارة له هو النتاجات الاقتصادية David Ricardo الذي نشر كتاب:

Principle of Political Economy and Taxation

في سنة 1817 ، وكغيره من اقتصاديي القرن التاسع عشر، فقد تركزت اهتماماتهم على توزيع الدخل بين الطبقات الاجتماعية وملاك الأرض والعمال.⁶⁰

لقد كان تركيز آدم سميث على الزراعة بوصفها النشاط الاقتصادي الأهم، وممكن ذلك في المجتمع الزراعي، وكيفية ربط العمل والتشغيل من خلال العلاقة بين مالك الأرض ورجال الأعمال والعمال، وافترض سميث ، أن الاقتصاد سيكون دائماً في حالة تشغيل كامل. فيما ركز الاقتصاديون الذين جاءوا بعده ، ومنهم ريكاردو مؤكداً على رجال الأعمال واستثماراتهم في المكائن والمصانع والمعدات بوصفها العامل الأهم في تنشيط الاقتصاد.⁶¹ تأسيساً على ما سبق، فرجال الأعمال المستثمرين لا بد أن يحققوا المزيد من الأرباح بسبب كونهم هم المستثمرين في كل جديد من المصانع والمكائن، ومن هنا فتلك الموجودات ستنتج المزيد من السلع ومنها يكون البلد أكثر ثراءً.⁶²

لقد أشار ريكاردو إلى أن للاستثمار دور كبير في الاقتصاد، فهو أي الاستثمار يمكن أن يرفع قدرات المجتمع للمزيد من الإنتاج للتسريع بنسب أعلى من نسب الاستهلاك، وقد أشار للأجور التي يستلمها العمال بأنها تمثل جزءاً من قيمة ما ينتج، وقد حذر ريكاردو من مغبة الاستمرار في الإنتاج والصناعة ومزيداً من الإنتاج ، فقد تجد الدولة نفسها مغرقة بالسلع ولا تستطيع بيعها، هذه الحالة أطلق عليها وعلى مثل حالتها بالخطر. ويبدو أن ريكاردو قد اختلفت آراؤه عن آراء من سبقه ومن عاصره ولهذا فقد أطلق عليه كينز بأنه من أول اقتصاديي مدرسة كيمبرج.⁶³

لقد كانت المدة التي سبقت كينز ، وطرح نظريته العامة في سنة 1936 ، أي في نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تعصف بالآراء الاقتصادية والنظريات المتضاربة ، فبينما كان مالتوس يؤكد على حدوث المجاعة بسبب قلة المنتجات الغذائية وعدم تناسبها مع زيادة البشر ، يلاحظ ريكاردو قد ذهب باتجاه الاستثمار في الصناعة وأنه الكفيل بزيادة الثروة والدخل.

ولما كانت كل آراء ريكاردو تصب في أن الادخار يعد غاية في الأهمية كونه ينشط الاستثمار ووضح أن الربح سيذهب باتجاه الاستثمار وستنشط العجلة الاقتصادية من خلال ما سماع الطلب الفعّال " Effective Demand " وفي خضم تلك النظريات ، ظهرت نظرية ماركس ورأس المال وتحليله للتنمية الاقتصادية للنظام الرأسمالي.⁶⁴

⁵⁹ Michael Stewart, Keynes and After, Penguin Books, second edition 1978, PP 25-26

⁶⁰ Michael Stewart, Ibid PP.25-26.

⁶¹ Michael Stewart, Ibid, PP 25-26

⁶² Michael Stewart, Ibid ,PP 25-26.

⁶³ Michael Stewart, Ibid, P27.

⁶⁴ Michael Stewart, Ibid, PP 25-26

إنّ من النقاط المهمة التي ركزت عليها النظرية التقليدية والتقليدية الجديدة يتمثل بحماية المنتج حيث تفرض الضرائب على التجارة، ولكن ما أكدت عليه النظرية التقليدية والتقليدية الجديدة هو حماية الزراعة والصناعة.⁶⁵

تحليل المقالات الاقتصادية وفق منهجية النظرية الاقتصادية

إن قراءة متأنية لتلك المقالات تظهر مدى قدرة الأستاذ علي الجميل على إطلاق الدعوات عبر الصحيفة التي كان يرأس تحريرها نحو التطبيق الاقتصادي للأسس التي يمكن أن تسهم في تحريك الاقتصاد العراقي من خلال تحريك أفراد ومنظّماته، وهو البلد ذو الاقتصاد المنهك الذي عانى من حروب استمرت ما بين 1914 وحتى 1921 حيث تأسس الحكم الوطني. لقد أظهر الجميل حجم المعاناة الاقتصادية والضائقة المعيشية التي يعيشها الناس إبان العشرينات من القرن الماضي، وكان قد بين بخطابه النظري ومقالاته الميدانية، وفي مناسبات عديدة حجم تلك المعاناة بسبب الحرب الأولى والسيطرة العثمانية (= الحكم التركي كما يسميها)، على موارد البلد، ومصادرة الأغنام والجمال مصدر الثروة وكما تم الإشارة لهذا أنفاً. لقد أشرت المقالات عدداً من المظاهر الاقتصادية والاجتماعية وكما يأتي:

العمل والبطالة

ناقش الأستاذ الجميل في عدد من المقالات حالة البطالة التي شهدتها المدينة (= الموصل) في سنوات ما بعد تأسيس الحكم الوطني سنة 1921، وأشرت إلى عدد من المشاكل الكبيرة التي كانت تعاني منها المدينة خلال تلك السنوات، فبعد حالة الازدهار التي عاشتها المدينة في سنوات قبل الحرب العالمية الأولى، إذ تفاقمت المشاكل، وبدأت الظاهرة الأهم في نظر الكاتب هي البطالة، فكتب يقول في مقالة تحت عنوان "البطالة داء وبيل": (نقول هذا، وأمامنا جيش جرار من البطالين من أبناء البلاد، قد غصت بهم القهاوي ولا تسمع منهم إلا تدمراً وإلا تأففاً. يتشاكون قلة الرزق، وعسر الحالة، ونضوب منابع الثروة) ويذهب علي الجميل إلى حث الأفراد والفئات المختلفة على العمل ويصف لهم طبيعة الرجل العامل عن الرجل العاطل، وأن المشكلة، كسل وخمول لا قلة عرض في العمل، ويؤكد الرجل في مقالة أخرى بعنوان: "حبذا العمل" ويؤشر في بداية مقالته الافتتاحية نموذجاً لحالة حدثت في تركيا تمثلت بإرسال الفلاحين وأبنائهم إلى الدنمارك ضمن برنامج تعاوني ويشير الجميل إلى ذلك، ويقول: (فأرسلت الجمهورية التركية عدداً معيناً من أبناء فلاحها لأجل أن يختلطوا مع فلاحى الدانمارك، ويسكنوا بين تلك القرى يدرسوا الأعمال التي يقوم بها الفلاحون في تلك الجهات من نطس أرض، أو زرع، أو أرواء، أو حصاد. حبذا العمل هذا العمل، وحبذا هذه الفكرة الطيبة التي ستعود نتيجتها على البلاد التركية بنفع كبير، إذ أن النظريات لا تكفي لطالب العلم من دون تطبيقات ولا يتم العلم ولا ترجى منه فائدة ما لم يطبق على العمل).

لقد ربط علي الجميل بين التطبيق والنظرية، وكيف أن النظرية لم تعد تجدي نفعاً من دون تطبيق كفاء وفاعل يتعلم فيه الفلاح ويتدرب ويأتي ليطبق كيف لا وتركيا البلد الزراعي التي ما برحت تأكل ثمار نتائجها، واليوم بعد أكثر من ثمانين سنة نسأل كيف نجحت تركيا

⁶⁵ Graham Bannock , Ibid , P395.

؟ وكيف بات الاقتصاد التركي من أهم اقتصاديات الدول النامية ؟ ويطرح الجميل سؤاله للحكومة مفاده : فهذه البلاد محتاجة اشد الاحتياج إلى تحسين حالة الزراعة وتوسيع نطاقها ، إذ يصح لنا أن نقول أننا لدينا أسباب المعيشة غير الزراعة ، وهذه الأراضي الفاحلة محتاجة إلى أيد عاملة مفتقرة إلى مساعدات عديدة فهل نحن لمثل هذا عاملون ؟

ويعود الجميل ليطرح في مقالة أخرى : بعنوان (إلى العمل) يطرح فيها مشكلة العرق والموصل في قلة العمل ، وغياب البرامج الحكومية ، ويقترح على الفرد عدة نقاط ومنها الاستمرار في العمل ، ولكن قبل هذا يطرح الجميل قاعدتين هما:

(على أن يضع أما عينيه هاتين القاعدتين الفاضلتين: إفاء المنافع الخصوصية في سبيل المنافع العمومية ، وأن العمران الوطني العام إنما يتألف من مساعي أفراد الأمة كل ضمن دائرة عمله مهما كانت هذه الدائرة ضيقة) ، فالصحافي يجب أن يعمل على ترقى صحافته ، والتاجر يجب أن يعمل على توسيع نطاق تجارته ، والفلاح يجب عليه أن ينشط لتحسين حالة زراعته وتحويلها بصورة تدريجية إلى ما يقتضيه الفن الزراعي الحديث ، وهكذا المعمار ، والحداد ، والنحاس ، وباقي أرباب الحرف ، على أن يثابر كل واحد من هؤلاء على ما قد فطره الله تعالى عليه ، وأن لا يهمل مهنته ، ويقذفه التيار إلى غير ذلك مما لا علاقة له به من الشؤون فلا يجوز للسياسي أن يصبح تاجراً ، كما لا يجوز للنجار أن يهمل مهنته مثلاً وتميل به الأهواء فتقذفه في بحر السياسة ، فإن هنالك الفرق لا محالة على أن لا يتسنى للعراق أن يظهر بالمظهر التي قد ظهرت به الأقطار العربية من التمدن والرقى في يسير من الوقت .

ويتناول في القاعدة الأولى: تقدم المصلحة العامة على الخاصة وبعكس ذلك فهو الفساد المالي والإداري الذي يعرف بأنه تحويل العام للخاص⁶⁶ ، فيما عرض القاعدة الثانية وهو ما نادت به النظرية الكلاسيكية بدءاً من آدم سميث ولغاية ريكاردو وهذا ما تم الإشارة له أنفاً . ويبدو أن علي الجميل قد شخص المشكلة التي كان يعاني منها العراق وما زال ، وهي مشكلة الوظيفة ، وأن علاجات عقد العشرينات بعد تأسيس الحكم الوطني ، يبدو قد تكررت في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ، فالوظيفة هي استقرار ، وبعد عن العمل ، وهي بطلانة مقنعة وهي باب من أبواب الارتزاق إذا استغلت في غير أخلاقيات العمل التي تم التوظيف من أجله ، وفيها من المنافع الكثيرة التي بات هناك سباق على الوظيفة الحكومية وبات الهيكل الإداري الحكومي داراً للضمان الاجتماعي.

تشجيع الصناعة الوطنية

لقد كان للتحويلات الكبيرة في الاقتصاد التي بدأت بعد الحرب العالمية الأولى واحتلال العراق وحالة الركود التي سادت في تلك الفترة والسياسات التي اعتمدت من قبل المحتل البريطاني ، والمتمثلة بمنح الرواتب ، والإعانات ، وتعطيل قوى الإنتاج في العراق ومنها مدينة الموصل بعد ما شهدته المدينة من مصادرات للغنم والجمال في منطقة الجزيرة إبان سنة 1914 ، وما سبقها من سنة للقحط والجفاف وشملت مجاعة رهيبية ، وباتت المدينة في شلل دائم ، فتعطلت التجارة ، وقلت الأنشطة الحرفية التي تغذي الزراعة وقطاع الرعي ، وما أن تأسس الحكم الوطني عام 1921 ، إلا وبدأت المدينة تنشط في اقتصادها قليلاً ، ويبدو

⁶⁶ Barbra Parker, Globalization and Business Practice, SAGE Publications, 1998, PP. 436-43.

أن العراق قد شهد حالة من الانفتاح على العالم ومن الاستيراد والتصدير ، فبدأ المنتج المستورد يغزو السوق . وجاءت مقالات الأستاذ علي الجميل بعنوانين متباينة ومنها : " حاجتنا إلى الصناعة " ، و " حماية الإنتاج الوطني " و " حماية المعمولات الداخلية " .. وهنا ، لا بد من التأكيد على كيفية تشجيع الإنتاج الوطني وسبل النهوض به : يطرح الجميل في مقالة تحت عنوان " حاجتنا إلى الصناعة " عدة أفكار جديدة ، ويناقش قضية الصناعة من باب مدخلاتها ، وكيف أن المعالجة تكمن في المدخلات ، فلما كانت المدارس غير مؤهلة لتخريج طلاب يمتحنون الصناعة ، وأن المدارس تركز جلها على تخريج متعلمين ، وليس مهرة متدربين ! ويطرح الجميل مشكلة كانت في سنة 1927 بدايتها ، وأنها لا زالت مستمرة في العراق ، ولم نعرف لها أية نهاية ، وسوف تستمر وتتفاقم في ظل تطورات متسارعة في العالم. وهنا ، نعيد السؤال : فماذا نحن صانعون ؟ إن قراءة متأنية في جزئية من تاريخ العراق الحديث ، تظهر لنا حجم الهوة الكبيرة التي كانت وما زالت مستمرة ، وما المعالجات إلا ترقيع وترتيق من دون سياسات فاعلة وجهود مثابرة وبرامج تأتي أكلها ، وستمضي السنوات والعقود .. وربما سنبقى نناقش السبيل والمنهج الذي يوصلنا وكأنا الثمانين سنة التي مضت ، قد تكررت ولكن ضمن متواليات زمنية أقصر.

المالية العامة

طرح الأستاذ علي الجميل عدة مقالات في المالية العامة، وهو يقول ما نصه: (.... إن من أهم قواعد علم أصول المالية هي القاعدة القائلة – إن رقي الأمة الاقتصادي ، لهو متناسب دائماً مع إنتاجها – فكلما زاد الإنتاج الزراعي والصناعي والعقلي والأدبي زادت الثروة المالية ، وتجلت المنافع الوطنية بلا ريب. ولما كانت سطوة الحكومة ومقدرتها ، بل عظمتها وسؤدها لا يتم إلا بقوة مالية الأمة وعظمة ثروتها. فإننا لا نشك أبداً بأن حكومتنا الفتية ، تقدر هذه الحقيقة حق قدرها ، وهي لا تألو جهداً في استكمال الأسباب التي من شأنها تزييد الثروة العراقية ، وأن هذا قائم بلا شك بتوسيع نطاق دوائر الإنتاج الوطني أولاً ، ثم الحرص على بقاء ثروة البلاد في البلاد، وذلك باتخاذ السدود المنيعة، وضمن الحد المعقول لمنع تدفقها إلى الخارج ، أي ليس بمعنى طمر ثروة البلاد فيها بل بمعنى تزييد الإخراج وتقليل الإدخالات الغير الضرورية.)

وهنا لا بد من الإشارة إلى ما قصده الجميل بعلم المالية العامة الذي يقوم على الإيرادات والنفقات وقد عنى بها الإدخالات والإخراجات ، وأن هناك عدة نقاط ركز عليها ، وهي :

1. أن الإنتاج الذي ينمي الثروة يتمثل بالإنتاج الزراعي والصناعي والعقلي والأدبي.. وهو ما يقصد به اليوم بـ الإنتاج الملموس والإنتاج غير الملموس ، متمثلاً بالمفهوم الأدبي والعقلي ، وهي إشارة مبكرة لكيفية احتساب الثروة الفكرية والعقلية ضمن حسابات الدخل القومي وثروة البلد.

2. يسجل علي الجميل أن هدف الحكومة لا بد أن يكون تعظيم الثروة ، وهذا ما يتطابق تماماً مع ما جاء في النظرية الاقتصادية التقليدية .

3. يؤكد علي الجميل حماية المنتجات الزراعية والصناعية وغيرها ، بهدف دعم الزراعة والصناعة والمساهمة الفاعلة في تراكم الثروة.

4. لقد أشر علي الجميل إلى تزايد الاستيرادات على الصادرات ، في حين أشرت حركة تجارة الموصل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عكس هذا المنطق وهو زيادة الصادرات على الاستيرادات .

دور الضرائب في تمويل الخزينة العامة للدول

ركزت النظرية الكلاسيكية وما بعدها على الضرائب في إطار حماية المنتج الزراعي، والمنتجات التي تفقد لخلق الثروة ، وضرورة الضرائب لتمويل النفقات العامة . ويبدو أن العراق قد بدأ بفرض الضرائب والمكوس وبنسب معينة قادت لخلق رد فعل سلبي على التجارة الداخلية والخارجية ، وهذا ما تمّ ملاحظته في عدد من المقالات ومنها المقالة التي كتبها علي الجميل لمناقشة قانون الضريبة على الدخل، ويحفز باتجاه إعفاء الدخل الزراعي لغرض تشجيعه ، ولكن الأهم من هذا ، هو تمييزه بين رأس المال الثابت الذي يشجعه ورأس المال المتداول الجار الذي يكون عرضة للمزيد من المخاطر أي الخسائر المتوقعة .

يضيف علي الجميل حول موضوع الضريبة ليسجل ما يلي :

" .. ثم إذا نظرنا بصورة إجمالية إلى مجموع ذلك القانون ، نجده من القوانين الكمالية التي تطبق في بلاد بلغت الدرجة القصوى من الكماليات العمرانية من فن واقتصاد وتوفرت لديها منابع الثروة وقامت فيها أعمال على قواعد العلم والفن ، وأن القانون الذي يوضع ، مثلاً ، ليطبق في إنكلترا وفرنسا وأمريكا لا يمكن تطبيقه في بلاد حديثة عهد بتلك الأساليب كبلادنا المتروك فيها كل شيء تحت رحمة الطبيعة ومؤثرات الصدفة ، فالطرق المنصوصة في هذا القانون ، ليست بمألوفة بهذه البلاد ، وكان الأجدر بالحكومة قبل كل شيء أن تفتح أمام شعبها أبواب السعي والعمل ، وتمهد أمامهم إيجاد أشغال ومهن ، فنقل عدد جيوش البطالين ، ثم تحي التجارة ، وتبعثها من رسمها بمعضدة الأهلين بأنواع التشجيع لإيجاد رؤوس أموال، وتشكيل شركات ، وتأسيس مصارف ، ومصانع ، فتكون هذه الأعمال كمبرر لمفاجئة البلاد وأهلها المساكين بهذه الضرائب المتردفة " .

فيما ذهب علي الجميل في مقالة أخرى حول الضرائب على الأشجار ويطلب تحقيق العدالة في التطبيق ، حيث يقول :

" إننا لسنا ممن ينكر على الحكومة حق فرض الضرائب وطرح الرسوم، ولكننا من الذين يقولون بوجود استيفائها ، بصورة عادلة ، عسى أن نكون قدمنا الحقيقة والواقع في هذه السطور الذي سجلها القلم بإيحاء الضمير الذي قد سيطر عليه الإخلاص لهذه البلاد وللأمة العراقية " .

دور الموازنة العامة للدولة في تنشيط الاقتصاد

ناقش الأستاذ علي الجميل الميزانية العامة للحكومة ، ومن منطلق المشاركة التي كانت سائدة في تلك العقود؛ يكتب ويذكر الحكومة قائلاً : " أما وقد أصبحت مقدرات البلاد ، ومقدرات الأمة بين أيدي نوابها الذين أصبحت المسؤولية على عاتقهم ، فقد فرض عليهم بحكم الضرورة أن يعيدوا كل نظرة تدقيق وإمعان وأن يعلموا أن لا قوام للدولة إلا بخزينة مملوءة بالأصفر الوهاج والأبيض الرنان ، ولا استقلال ، بل ولا حياة بلا ثروة، فالثروة هي روح الاستقلال ثم لا حياة لأمة تتقل عاتقها الضرائب الباهضة ، والرسوم الفادحة ، وهي في حالة حرجة يمكن أن يقال عنها أنها عائمة في بحر من الإفلاس ، نظراً لوقوف محور

التجارة ، وموت الصناعة والحرف في سائر البلاد العراقية المسكينة، والزراعة قد شعر بحالها وتعاستها الغريب والقريب ، فعلى نواب الأمة أن يقدموا النظر ، إذا ما وضعت الميزانية على منصة التدقيق بايجاد منابع جديدة من الخزائن التي قد ضاقت بها الأراضي العراقية تستدر منها الحكومة ما يملأ خزانها ، ثم يعطفوا أنظارهم نحو الرواتب الضخمة ثم الوظائف المستحدثة التي قد يمكن الاستغناء عنها ، وأن يجعلوا الاعتماد الحقيقي على ما يمكن أن يستفاد من تلك المبالغ لا على الضرائب والرسوم التي يجب ضربها على أهالي البلاد التي أسست حالتها الاقتصادية حرية بالمساعدة والعطف والحنان "

ويشير علي الجميل في أكثر من مقالة إلى دور الميزانية في تحقيق النمو والتطور، لا بل فقد ناقش البنود في الموازنة، ويمكن القول أن الرجل قد دخل في مناقشة الأداء وبرنامج العمل والنتائج، إنه بالتحديد ما يقصد به موازنة البرامج والأداء، وهذا ما لم يطبق في العراق لغاية اليوم !! يقول علي الجميل :

فقد طلب إلينا جمهور من الناس أن نلفت أنظار رجال البلدية المحترمين نحو التنظيفات اللازمة للمدينة ، وكأنهم شاهدوا التنظيفات التي تجري الآن ليست بدرجة مرضية ، فإنهم لا يجدون فرقاً بين حالة التنظيفات في هذه السنة وبينما كانت عليه في السنة المنصرمة في حين أنهم يقولون أن المبالغ المخصصة في الميزانية أحد وثلاثون ألف روبية ، بينما كانت في السنة المنصرمة ستة عشر ألف روبية⁶⁷، نعم الفرق كبير بين المبلغين ولكن لا فرق في التنظيفات بين السنتين ؟ أليس هذا مقصدكم يا حضرات المقترحين ؟

أجل ! وإنهم يقولون أيضاً كانت التنظيفات تدار في السنة السابقة من جانب ملتزم ولكن في هذه السنة أصبحت تدار أمانة من جانب هيئة مخصوصة لأجل أن تكون النظافة من آخر طراز ومن أول درجة، فما بالها بقيت على حالها ، كما لو كانت تدار من جانب المتعهد بمبلغ الستة عشر ألف روبية ، ثم يقولون لنا كنا نشاهد الكنس يجري يوم كان بيد المتعهد بمكانس مخصوصة ، واليوم أشاهد الكنس يجري بمكانس من أعواد - مشاطب - والفرق بين المكنستين ظاهر ، فالمكنسة المعمولة من أعواد - مشطب - لا تنفع إلا لإثارة الغبار فقط ، والمكنسة المخصوصة لأجل الكنس تكنس تراباً وأوساخاً ، فإذا فضلت البلدية الكنس بالمشاطب ؟ ولا توجد أسباب مبررة لذلك التفضيل ، اللهم إلا إذا كان في نيتها فتح باب مخصوص للرزق لأطباء العيون ؟

نعم وللجمهور سؤال آخر ، ولعلمهم محقون بذلك أيضاً، أما أنا فلا علم لي بالمسألة ! ولكنهم يقولون أن دائرة الصحة كانت تمنع المتعهد ، عندما كان الكنس بعهدته ، من الكنس في النهار أو قبل مرور خمس ساعات بعد مغيب الشمس وتروم بذلك محافظة صحة المارين والعابرين من الأهلين ، أما الآن فهم يشاهدون الكنس يجري من بعد غروب الشمس، فهل حدث في الفن ما يوجب ذلك، وهل الغبار الذي تثيره مكانس المتعهد مضر ، والغبار الذي تحدثه مشاطب الأمانة ليس بمضر للعيون والصحة العامة؟ " (انتهى النص) .

إن قراءة متأنية لهذه المقالة ، تظهر بأنها ليست مقالة صحفية بقدر ما هي برنامج عمل للبلدية ، وتقويم للعمل من خلال مقارنة سنتين مع بعضهما ، وأنها دخلت في تفاصيل تقويم لمشروع تنظيف المدينة ، وتقويم للأدوات والمبالغ مما يؤشر موازنة دقيقة للبرامج والأداء

⁶⁷ لقد تباین سعر الروبية مقابل الليرة العثمانية فقد كانت في سنة 1917 فإن كل 13 روبية = ليرة عثمانية أصبحت في سنة 1927 كل 20 روبية = ليرة عثمانية .

قائمة في العراق منذ أكثر من ثمانين سنة ! فيما بدت اليوم موازنة تشكل تطوراً حديثاً يطلق عليه موازنة البرامج والأداء تسعى الدول جاهدة لتطبيقه والوقوف على نتائج الموازنة بالدقة، وكذلك بدا الموضوع وكأنه تقويماً لمشروع بعنوان (تنظيم المدينة، ضمن أسس وسمات القرن الحادي والعشرين) في الإفصاح الذي مارسه البلدية في عرضها لمبلغ التخصيصات، وقد أصبحت عنواناً عريضاً على الصحف مما يؤشر نوعاً من المساءلة من قبل المجتمع عبر الإعلام والصحف بوصفها من منظمات المجتمع المدني التي يتغنى بها المتقدمون.

مبدأ المساواة والعدالة في التكاليف الضريبي

يقول الأستاذ علي الجميل بخصوص التمايز الذي ورد في قانون الضرائب على الأشجار حيث يكتب قائلاً : " وأن خلاصة القانون المذكور هو استيفاء أثنين سنوياً عن كل شجرة مثمرة (أشجار التين والعنب) من الأشجار التي تسقى بطريقة (السيح) أي من الأنهار مباشرة بدون وسائل آلية، ورسماً قدره أنة واحدة سنوياً عن كل شجرة مثمرة تسقى بالوسائل الآلية ونحن في دورنا نبدي عدم ارتياحنا لهذا التدبير في ألويتنا الشمالية لوجوه شتى". .

مصادر الثروة والفكر الاقتصادي التقليدي الذي يؤكد

يقول علي الجميل في عدد من المقالات ويؤكد على منابع الثروة وأنها الباب للاستقلال وأن لا استقلال من دون ثروة ، إذ يسجل قائلاً : (.....لقد قلنا أكثر من مرة إن الاستقلال لا يمكن أن يسمى استقلالاً من دون ثروة ومن دون منابع للثروة ولا تظهر تلك الثروة إلا بالمبالغ التي نجدها قد أصبحت فضلة مقتصدة في ميزانية الدول تتضاعف مبالغها سنة بعد سنة

68(

التجارة وضرورة تشجيعها

الدعوة لتأسيس مصرف زراعي

لم يكن في العراق مصرفاً زراعياً لغاية سنة 1935 ، إذ تم تشريع قانون رقم 51 لسنة 1935 .. وقبل هذا التاريخ ، كان المزارعون يرزحون تحت شروط المرابين وما يفرضه عليهم من نسب ربوية عالية⁶⁹ ، ولما كان هذا القطاع الزراعي والحيواني من القطاعات عالية المخاطرة بسبب ما تتعرض له المزارع من آفات وكوارث وامراض وفيضانات ، فقد واجه المزارعون تحديات كبيرة انعكست بصيغة نداء من علي الجميل ، وهو يحث الحكومة العراقية على تأسيس مصرف زراعي لتلافي مشكلة المرابي الذي يبتز الفلاح . يقول : (... مسكين هذا الفلاح ينوق الأهوال ويقاسي الأتعاب خدمة للأمة والبلاد ثم يضحى نفسه بسكين المرابي أمام المملأ والناس هذا إذا سلم من الآفات السماوية وطويل العمر من يسلم. فالفلاح في يومه محتاج إلى (مصرف زراعي) يأمّ بابه كلما احتاج إلى شيء من النقد ، لسد حاجته

⁶⁸ علي الجميل ، ميزانية الدولة بين أيدي نواب الأمة ، جريدة صدى الجمهور ، العدد العدد 13 ، 31 آذار 1927 .

⁶⁹ خليل الشماع ، إدارة المصارف مع دراسات تطبيقية في الصيرفة العراقية والمقارنة ، مطبعة الزهراء ، 1975 ، ص

. ولقد كان هذا المصرف الزراعي زمن الحكومة السابقة أحسن عضد للفلاح وأكبر مساعد ، وها هي المصارف الزراعية المحدثة في هذه السنوات الأخيرة في البلاد العربية ، نجدها قد قامت بأكبر مساعدة للفلاحين فافادتهم واستفادت هي نفسها. فهل حكومتنا الرشيدة أن تعطف نظرها نحو هذه النقطة ، وتفتح هذا المصرف الزراعي الذي ما زال ينتظره الفلاحون بفارغ الصبر من حين إلى حين ليخفف من كربهم ويدفع عنهم ما يكابدونه من المرابين)⁷⁰ ويبدو أن الحالة بقيت على ما هي عليه لغاية سنة 1935 حيث تم تأسيس المصرف الزراعي الصناعي لأول مرة في العراق .

⁷⁰ علي الجميل ، حول المصرف الزراعي ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 87 في 26 كانون الثاني 1928 .

الفصل الرابع

مقالات

علي الجميل

في الاقتصاد والتجارة

حول قانون ضريبة الأشجار⁷¹ لأنظار نواب الألووية الشمالية

فهمنا من جواب معالي وزير المالية المعطى على سؤال أمين الجرججي نائب بغداد في الجلسة النيابية المنعقدة في 26 من شهر شباط (= فبراير) ، أن في نية الحكومة تطبيق قانون ضريبة الأشجار (بعد تصديقه من الهيئة التشريعية) على الألووية الشمالية في السنة القادمة. وأن خلاصة القانون المذكور هو استيفاء أثنين سنوياً عن كل شجرة مثمرة (أشجار التين والعنب) من الأشجار التي تسقى بطريقة (السيح) أي من الأنهار مباشرة ، بدون وسائل آلية، ورسماً قدره آنة واحدة سنوياً عن كل شجرة مثمرة تسقى بالوسائل الآلية ، ونحن في دورنا نبدي عدم ارتياحنا لهذا التدبير في ألويتنا الشمالية لوجوه شتى.

إن لكل ضريبة مشروعة لا بد أن تكون قاعدة جبايتها متساوية في كل أنحاء البلاد ، فاستيفاء الحكومة 18 روبية عن كل غالون عرق في سائر أقطار العراق هي ضريبة عادلة حيث أن كل قنينة عرق في جميع جهات العراق هي خمس روبيات ، فلو كانت قيمة الواحدة 3 روبيات في الموصل ، و 5 روبيات في بغداد ، و 7 في البصرة ، مثلاً ، لوجب القول أن هذه الضريبة غير عادلة ، وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان حيث أن من القواعد الأساسية المعتبرة في أصول طرح التكاليف أن تشترك رعاية الدولة بتأدية نفقاتها (الدولة) وذلك كل بنسبة اقتداه ودرجة استفادته الاقتصادية ، وينبغي على الحكومة أن تراعي هذه النسبة على كل حال. فلو كانت قيمة الأثمار في العمادية ، أو في العقرة ، أو في دهوك كقيمتها في بغداد

⁷¹ علي الجميل ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 6 الخميس 10 آذار 1927 ، 6 رمضان 1345 .

والبصرة ، لقلنا أن تدبير الحكومة بطرح أنتين على كل شجرة مثمرة تدبيراً مصيباً. ولكننا ، أو من ينادي بهذه الإصابة ويحرض الأهلين على دفعها بكل امتنان لما سوف يتوقف على ذلك من تأمين واردات خزينة الدولة ، ولكن طالما أن قيمة الأثمار هي غير مطردة في جميع أنحاء المملكة ، فلا يكون طرح ضريبة مقطوعة بدرجة واحدة على الأشجار المثمرة في سائر أنحاء العراق طرحاً عادلاً. أي ليس من العدل أن يدفع أهل العمادية وراوندوز وشقلاوة ودهوك أنتين عن كل شجرة تفاح أو رمان ، بينما أن أهل الكرادة الشرقية ، أو الصليخ ، أو الهويد يدفعون أنتين على مثل تلك الشجرة وذلك لما في صعوبة نقل الأثمار واستهلاكها في أسواق الموصل أو أربيل ، ولما في سهولة نقل واستهلاك أثمار الأخيرة وبيعها في أسواق العاصمة . وبينما واردات الشجرة الواحدة في بغداد ، أو في ديالى تكون نصف روبية سنويا ، فقد تكون واردات مثلها في العمادية ، أو في دهوك بالكاد ثلاث آتات. فمن أين لصاحب البستان ، أن يدفع الضريبة المقطوعة. فهل من العدل أن يستوفي أنتين عن كل شجرة في دهوك ، أو العمادية قياساً على كون ضريبة الشجرة في بغداد هي أنتان. إننا نعلم أن أسس الديمقراطية قد تفرض المساواة في الحقوق والواجبات بين عموم أفراد المملكة الواحدة ، فهل في هذا التدبير يوجد ما يسمى مساواة ؟ أو عدالة ؟ وإذا أصرت الحكومة على هذه النظرية، فماذا نسمي هذا التدبير ؟ وبماذا ينبغي أن ننتع هذا القانون ؟ لا شك أننا نكون غير منصفين فيما إذا اسمينا هذا التدبير (تدبير تخريب ما بقي في البلاد من آثار العمران) ، إذ يترتب عليه قطع الأشجار والاستفادة من أحطابها تخلصاً منها ومن ضريبتها ، وكذلك إذا سمينا هذا القانون بـ (قانون ضريبة الأشجار) أي نعم ضريبة موجعة لجسم العراق.

إن اللائحة القانونية المذكورة قد فرضت استيفاء أنتين عن كل شجرة تسقى بالسيح على ما فسره معالي الوزير، وهنا نود إلفات أنظار معاليه مع أنظار حضرات النواب المحترمين ، وبالخاصة أنظار نواب الألوية الشمالية إلى قضية مهمة في هذا الباب ، ألا وهي أن الحكومة ما زالت منذ القديم تستوفي الخمس من إيراد بساتين لواء ديالى ، وحسب ما نعلم ، أن ذلك بسبب كون ملكية نهر (فريسان أو (الخالص) و (مهروت) تعود للحكومة وليس لملاكي تلك البساتين ، فكانت الحكومة تستوفي العشر باعتبار أنها مالكة ل..... الأرض وتستوفي عشرأً آخرأً عوضاً عن حصتها من ري البساتين بمياه تلك الأنهر ، فيكون مجموع حصة الحكومة الخمس من حاصلات تلك البساتين ، فإذا كانت الحكومة قد طرحت أنتين على كل شجرة مثمرة في تلك البساتين التي تشرب بالسيح هناك ، فهل من العدالة أن تفرض عين الضريبة على أشجار بعشيقية ودهوك وزاخو والعمادية ؟ وهنا لا بد من التتويه ، بأن البساتين الكائنة في الألوية الشمالية التي تسقى بالسيح ، عموماً ، تسقى بأنهار مملوكة كل منها ملك صاحب البستان ولا تعود ملكيتها إلى الحكومة .

وليس للحكومة في الألوية الشمالية أن تستوفي من حاصلات البساتين أزيد من العشر ، فإذا كان المقرر استيفاء أنتين عن كل شجرة في لواء ديالى ، فينبغي أن يكون مثلها في الألوية الشمالية أنه واحدة ، وإذا كان المقرر استيفاء أنة واحدة عن كل شجرة تسقى بالوسائط الآلية هناك ، فينبغي أن تكون نصف أنة في الشمال لما يترتب على ذلك من المصارفات الباهضة ، وليس من المشروع فرض عين الضريبة على كل الأشجار في الشمال والجنوب . ألا رحمة بهذه الألوية وحناناً على سكانها التعساء الذين ما زالت الطبيعة تنكبهم من وقت لآخر

تارة بانحباس الأمطار ، وإذا غزرت ، فلا تمتنع عن بذل الجراد والسون وسائر الآفات المبيدة للزراعة. إذا نظر أحد إلي .. لكون الروبيات الداخلة في ميزانية دوائر الري والسداد ، قد لا يستغرب طرح تكاليف مقطوعة على الأشجار المثمرة التي تتمتع بمياه الري والسداد ولكن ما ينبغي أن تكون (الرعية بالسوية) في المصاريفات ، كما في التكاليف والضرائب . لقد استغربنا جداً من معالي وزير المالية ، إذ صرح بأن عشر بساتين الأولوية الشمالية لك روبية ، وأن عشر بساتين ديالى لك وكسور لك ، كأنه يستقل لك واحد لأعشار الشمال. قد يكون ذلك صحيحاً ولكن ليس كما ذكره معاليه ، بل كان ينبغي أن يستقل أعشار لواء ديالى بالنسبة إلى أعشار الشمال حيث أن واردات بساتين الهويدر من البرتقال وحدها تعادل عموم واردات بساتين الأولوية الشمالية ، ثم ينبغي أن لا يبرح عن البال أن لواء ديالى مكلف بدفع الخمس والشمال مكلف بدفع العشر ، فيحق لمعالي الوزير أن يرضى بأصول دفع العشر ، ويطلب تبديله بضريبة معينة ، ولكن قبل أن يرى أعشار بساتين الشمالية قليلة . إن الجمهور ليسأل من معاليه : كم تكبدت الدولة ، وميزانية دائرة الري والسداد الطويلة العريضة من مصاريفات لتأمين ازدياد أعشار بساتين الأولوية الشمالية ؟ وما هي الطرق التي عقتها الحكومة تسهيلاً لنقل أثمار الأشجار ؟ المطلوب طرح الضريبة عليها . هل يوجد هناك في تلك الجبال والوهاد سوى الطرق التي حفرتها حوافر الحمير والبعال منذ عهد آدم حتى الآن ؟ ما هي الوسائط التي اتخذتها الحكومة لمنع تخريب البساتين سنوياً عند فيضان نهر الروبال في دهوك ؟ أي واسطة أعدتها الحكومة لتأمين نقل أثمار الشمال (السريعة التلف) بسرعة إلى غير أسواق الموصل لتأمين النسبة المفروض وجودها بين الاستهلاك والإنتاج ؟ لا بد أن يذكر كل من حضرات نواب الشمال المحترمين عند إقبال بعض مواسم المشمش والتفاح في الأقطار الشمالية كم تهبط أسعار هذه الفاكهة في الأسواق لقلة وسائط نقلها وتصريفها في ما عدا سوقي الموصل وأربيل. إن الرأي العام ، يود أن تشعر الحكومة بالأمم الجمهور ومصائبه وأن تعالج هذه الآلام بتهوين شدتها وتخفيف وطئتها ، فلتؤمن الحكومة لنا وسائط النقل ، وتهون علينا أجوراته ولتقرض على كل شجرة لأربع آتات عوضاً عن آنتين. إننا لسنا ممن ينكر على الحكومة حق فرض الضرائب وطرح الرسوم ، ولكننا من الذين يقولون بوجوب استيفائها بصورة عادلة ، عسى أن نكون قدمنا الحقيقة والواقع في هذه السطور الذي سجلها القلم بإحياء الضمير الذي قد سيطر عليه الإخلاص لهذه البلاد وللأمة العراقية .

72 حماية الإنتاج الوطني

قرأنا فصولاً مفيدة في صحيفتنا العالم العربي الغراء حول الإنتاج، " الإنتاج الاقتصادي " ، إمضاء (متتبع) ، فقلنا حركة مباركة كثر الله المتتبعين لخير الوطن وفائدة الأمة العراقية التي كتب عليها الحرمان بحروف لا تقبل الزوال ، ولعلها تذوب بحرارة الأقلام والتدقيق والتعقيب ، وإكمالاً للفائدة العامة التي أوقفنا هذا القلم على خدمتها نبدي مطالعات حول الموضوع:

إن من أهم قواعد علم أصول المالية هي القاعدة القائلة – إن رقي الأمة الاقتصادية ، لهو متناسب دائماً مع إنتاجها – فكلما زاد الإنتاج الزراعي والصناعي والعقلي والأدبي زادت الثروة المالية ، وتجلت المنافع الوطنية بلا ريب. ولما كانت سطوة الحكومة ، ومقدرتها ، بل عظمتها وسؤدها لا يتم إلا بقوة مالية الأمة ، وعظمة ثروتها. فإننا لا نشك أبداً بأن حكومتنا الفتية تقدر هذه الحقيقة ، حق قدرها ، وهي لا تألو جهداً في استكمال الأسباب التي من شأنها تزييد الثروة العراقية ، وأن هذا قائم بلا شك بتوسيع نطاق دوائر الإنتاج الوطني أولاً ، ثم الحرص على بقاء ثروة البلاد في البلاد ، وذلك باتخاذ السدود المنيعة وضمن الحد المعقول لمنع تدفقها إلى الخارج ، أي ليس بمعنى طمر ثروة البلاد فيها بل بمعنى تزييد الإخراج وتقليل الإدخالات الغير الضرورية.

كلنا يعلم ، بأنه لا يتسنى للحكومة القيام بالواجب العديدة المترتبة بعهدتها ، إلا بالمال ، وأن الحكومة ليست بالشركة التجارية لها ربحها من استثمار رؤوس أموالها إنما تؤمن نفقاتها بالضرائب والمكوس وبقية الرسوم التي اعتبرتها الأمم مشروعة باعتبار الغاية الموضوعية لأجلها ، فليس من العدل والإنصاف أن نطلب إلى الحكومة إلغاء واردات المكوس برمتها ، أو رفع الحواجز الكمركية لتأمين حرية الإتجار بأوسع معاينة ، كما وأنه ليس من المعقول ، أيضاً ، أن نطلب إليها فرض مكوس باهض على جميع الإدخالات التي يوجد من نوعها شيء في بلادنا. وهذا بالطبع لا يوافق إلا لسكان المريخ ولما كانت حياة الأمم ، أشبه بحياة الأفراد والعائلات من الوجهة الاقتصادية ، بمعنى أن الأمة عائلة كبيرة وجب عليها والحالة هذه اعتناؤها بنوع الإنتاج الذي هو أوفق لحالتها المادية وأكثر ملائمة لحالة محيطها وطبيعة أراضيها ، وهذا حق طبيعي للأمة كما للفرد ، إذ هو من جملة شرائط البقاء . ويعلم الجميع ، أن القطر العراقي ، قطر زراعي قبل أي شيء ، فمن أهم وجائب الحكومة والأمة العراقية معاً هو السعي لإنماء الإنتاج الزراعي ، وتحسين أساليبه لتأمين توفير الثروة العراقية ، فلا يكون من الإجحاف بحقوق الأمم الأخرى أن تعمد الحكومة العراقية لحماية أهم ركن من أركان حياتها. ونقصد بذلك أن لحكومتنا حقاً صريحاً بفرض مكوس باهض على بعض الإدخالات المبدولة في القطر العراقي ، ورب معترض ، يقول : إن طرح مكوس كهذا مما يؤدي إلى تجفيف أحد ينابيع ثروة الدولة ، ويؤول بالنتيجة إلى إضعاف الميزانية ، فمع هذه القضية ، هي من اختصاص علم الاقتصاد ، فنكتفي بالقول : إن فرض مكوس ، كهذا ، ظاهراً ينقص ميزانية الدولة ، إلا أنه بالنتيجة مفيداً لها من جهة أخرى ، أي أنه يؤول إلى تزييد مساحات الأراضي الزراعية ، فالدولة تستوفي هذا النقص بطريقة القسر والطرائق الأخرى والشعب يستفيد بتزييد الثروة القومية ، وتشغيل أيادي البطالين ، وتكثير

72 علي الجميل ، حماية الإنتاج الوطني ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 7 في 14 آذار 1927 .

الأيدي العاملة .. هذا وإنا لسنا بمطالبين بتنفيذ حماية قوية التي يسميها المالئون (الحماية الكلية) ، بل أنا نطلب تطبيق الحماية الجزئية على أنواع محصورة من الإدخالات ، منها : حماية التبغ العراقي.

لا أحد ينكر علينا ، بأن استعمال التبغ هو من الأمور المضرة بالصحة العامة ، ولذا نرى أن جميع رجال الطب يحرمون على البشر التدخين حرصاً على الصحة – التي هي أهم أركان الإنتاج – فلا يكون إذن التبغ من الضروريات التي لا تحي البلاد بدونه ، بل هو من الأمور الثانوية التافهة، ومع هذا ، فأنا أرى له رواجاً عظيماً في البلاد ، وكذلك يعلم الجميع ، أن في الألوية الشمالية يوجد أنواع مختلفة من التبغ ، يمكنها أن تكفي لسد حاجيات البلاد ، بل ويمكنها تصدير مقادير كلية إلى خارج العراق. ويقول مدخنو التبغ أن للتبغ العراقي لذة ليس لها نظير في التبغ المستورد من البلاد الأجنبية، ولا ينقص التبغ العراقي عن الأجنبي إلا شيء يسير في إحضاره وتهيئة للاستعمال ، فانظروا إلى سيكارات (معمل الجكاير والدخان العراقية) .

معمل قوالاً ماذا يعوزه ؟ إننا لا نرى له أي فرق عن بقية السيكرات الأجنبية سوى إقبال الأهلين وتهافتهم على كل بضاعة أجنبية في سبيل خسارة الوطن ، فماذا يمنع الحكومة العراقية إذن من وضع مكوس باهض على التبغ الأجنبي لحماية الإنتاج الداخلي أليس هذا مما يؤول بالنتيجة إلى تزييد ثروة العراق وتوسيع نطاق حقول التبغ ، وتكثير أعشاره ورسومه ، وتشغيل كثير من أيادي الجنس اللطيف بهذه الصنعة الغير متعبة وتعويدهم حياة العمل ، وحياة الإنتاج وإخراجهم من دائرة حياة الجمود ، وحياة الاتكال وإحياء عنصر جديد في ساحة الإنتاج العراقي.

ألا يسلم كل منصف ، بأن صفقة الحكومة تكون أربح بكثير من حرمانها من مكوس التبغ الأجنبي، ألا نشعر بالفوائد المادية والأدبية المندمجة في هذا الطلب .

إن القلب يقطر دماً عند مشاهدة أبناء العراق يرجحون (بلاك كات) وأمثاله على سيكرات قوالاً وأمثالها، إذ ليس لهذه الأخيرة من الصفات السيئة سوى إنها وطنية، ومن إنتاج الوطن ومعمولة بأيدي وطنية ومرسومة بطابع الوطن . فهل في هذه المفكرة سنفوز في معترك الحياة ؟ كلا لعمر الحق ، فأنا أرى ، أن المسؤولية في عهدة الحكومة، أما مسؤولية الأهلين ، فهي ميلهم التقليدي إلى كل ما هو أجنبي وأوربي كما قلنا، أما مسؤولية الحكومة ، فهي إهمالها الطرق الإجبارية المعنوية لحمل الأهالي على حب الوطن في إنتاجياته . إن الحكومة في بلاد الشرق تقيد الحرية الفردية في سبيل المنفعة العامة ، وإنا لا ننكر عليها هذا الحق في كذا اعتبارات ، وأنا نوافق العبارة الواردة في صحيفتنا العراق الغراء إذ قالت في افتتاحية 4 آذار : (فالحكومة هنا هي المرشدة العظمى ، وهي مكلفة في قود الشعب في طريق التجدد والإصلاح ، وإذا حرن هذا الشعب ، فالواجب أن تسييره بالعصا لأنه لا يؤمل من شعب عاش من الغريب في دركات الانحطاط والخمول قروناً أن ينتبه من نفسه أو دفعة واحدة)

ونطلب من رجال الحكومة أن ينظروا في صوالح هذه الأمة التي قد انتصبت لقبول الحياة الحرة ، والمعيشة السعيدة ، ولتمشي بها الأيام في معترك الحياة. ليس من العبث وضع ثقة الأمة على الحكومة في أوارها الابتدائية ، حيث أن رجالات الحكومة الحاضرة هم نخبة القوم وأقطاب المفكرين ، وأنا نثق كل الثقة بأن أولياء أمورنا يعلمون أهمية هذه الحماية

أزيد منا ويقدرونها حق قدرها، ولكن كما قالت صحيفتنا العالم العربي الغراء في افتتاحية 3 آذار : (أجل إنهم يعرفون كل شيء ولا يحتاجون إلى من يعلمهم ، ويشرح لهم ، ويقترح عليهم . إنما يحتاجون إلى من يذكرهم من حين إلى حين ، بأن الوقت يطير ، والفرص تمر مر السحاب في أنهم مستمرين على درسهم وعلى تفكيرهم وعلى تهيئتهم للعمل) . فإذا كان الأمر ، كما قالت الصحيفة ، فما قد قمنا بواجب التذكير وإن الذكرى تنفع .

73 حول حماية المعاملات الداخلية

لقد سبق لنا أن قلنا في أحد أعدادنا الماضية ، بوجود حماية الإنتاج الداخلي، ولما كانت احتياجاتنا أكثر من أن تحصى ، وكانت نواقصنا مترادفة هي كسلسلة حلقاتها مصنوعة من الآلام ، فقد عرض لنا أمر رأينا من الأهمية بمكان لذلك عمدنا للبحث عن خدمة للجمهور . لا ريبه لأحد بأن في العراق ما يتجاوز الثلاثة الآف عائلة تقريبا يحكم عليها بالفناء إذا أسفر أمرها على ما هو عليه الآن من دون أن يعيره أحد نظرة التفات، إنما نعني بتلك العائلات عائلات طبقة - القوندرجية - الطبقة المسكينة التي قد حُكِم على صناعتها بالإعدام ، بفضل طيش بعض المتفردجين ، فهوات المودات والمقلدين إلى كل ما هو أجنبي غريب بفضل إهمال الحكومة لهذه المسألة وعدم إعادتها حتى من الأهمية الاجتماعية.

إننا لا نقصد بهذه الأسطر ، أن الأمة العراقية قد عولت على الاحتذاء بالنعلين والخفين والعودة إلى الفطرة ، بل نقصد ، أن الأمة العراقية قد عولت على استعمال الأحذية المصنوعة في البلاد الأجنبية بأيد أجنبية ، وقررت مقاطعة الأحذية المصنوعة بأيد عراقية في بلاد عراقية ، وإن شئت فقل في بلاد عربية عراقية.

انظر قليلا إلى الطبقة المنورة في سائر البلاد العراقية ، تجدهم لا يتخذون إلا الأحذية المستوردة من المعامل والمصانع الأجنبية ، وإذا ما سأل السائل ، كان جوابه : إننا نريد حياة جديدة ، نريد زياً يتناسب مع عصر المدنية ، مع عصر النور والكهرباء على أنهم لم يريدوا لذلك إلا تقليد الأجنبي ، وإنفاق البضاعة الأجنبية لقتل بضاعة الوطن ، فيصبح صاحب الصناعة في الوطن ، ينظر إلى تلك الحالة بعين حزينة وقلب يفيض باليأس والقنوط . فعوضاً عن درس فن الدباغة وإتقانها ، كما أتقنها الأجانب ، وبثها في بلادنا نهملها بل نريد قتلها بالركض وراء المعاملات الأجنبية.

ليت شعري ما الذي ينقص المعاملات الداخلية لكي نضرب بها عرض الحائط ؟ ماذا ينقص بلادنا من المواد الأولية لهذه الصناعة ؟ أليس الجلود تقدم من بلادنا إلى أوروبا سنويا بالبالات ؟ أليس العفص ، وورق السماق ، والبلادموط ، وبقية مواد الدباغة تُبعث من هذه البلاد إلى البلاد الأوروبية ، ثم تباع هناك بالأطنان بأبخس الأثمان ثم نعود فنشتريها من الخارج بالدراهم بأعلى الأسعار؟؟

أجيبوني ما الذي أضيف إلى الجلد من المحصول الأجنبي ؟ إنه لم يضيف إليه شيء سوى البضاعة الفكرية بضاعة العلم وبضاعة التصور الغربي لا غير.

73 علي الجميل، جريدة صدى الجمهور ، العدد 10 ، الخميس 20 رمضان 1345 ، - 24 آذار 1927 .

نحن ننشد استقلالاً تاماً ، ونترنم باستقلال تام ، ثم يتخيل عدد ليس باليسير منا دولة العراق بتشكيلات خارجية ضخمة ، وسفارات في كل عواصم العالم ، وتشكيلات عسكرية كبيرة ، وفيالق مكدسة من الجنود إلى غير ذلك من الخيالات والأوهام ، ولا يدري أن أصل الاستقلال ، وسر العظمة والتفوق ، هو ثروة البلاد، والثروة لا تكون إلا بإنتاج البلاد ، وبغير ثروة لا استقلال ، ولا تشكيلات ولا جيش ، ولا ، ولا... فإذا كان الأجنبي يلحقنا لحد الأذية، وإذا كنا غافلين عن مضار تلك الأذية الأجنبية. فهل يتسنى لنا النظر بالقيام بكشف منابع لايرادات تسد نفقات تلك التشكيلات اللازمة لمحافظة كياناتنا في هذا الوجود ؟ إننا نطلب من الأجنبي أن يحترم حقنا في الحياة . ولكننا لا نحترم قبل الأجنبي هذا الحق، إذ لو كان لنا شعور نحو ذلك الاحترام لوجب علينا قبل كل شيء احترام حقوق وطننا ، وليس حق الوطن إلا المحافظة على ثروته، وهل تمكن المحافظة على ثروة الوطن ونحن نرغب في كل ما هو مصنوع بيد أجنبية؟ وخارج معمل أجنبي؟ وصادر من بلد أجنبي؟ لئن كان كفانا من العار أن لا نكون منتجين أخص حوائجنا . فهل لا نكون بذلك قد زدنا فقرنا بترويج بضاعة الأجنبي وإنفاقها في بلادنا في حين أننا غير مضطرين على ذلك الإنفاق ؟ ... وفي البلاد جيش عرمرم من خيرة العمال والصناع قد قتلتهم البطالة ، وباتوا محرومين معوزين ، وعماء قليل ، يصبحون عالية على هذا المجتمع، ثم هل يحق لنا أن نوجه اللوم إليهم إذا ما ضجوا في وجوهنا وسكبوا علينا جامات الغضب وملئوا الكون بالصخب ؟ أفلا يجب على كل فرد من المتجددين المتمدنين أن يتأمل بنتائج ما نحن فيه من الغفلة ؟ إن إتقان الفن الأجنبي ، لا ينبغي أن ينسينا وطننا وأن يشفع لمن يخون وطنه ؟ والخيانة ليست بفعل السرقة فقط، وليست بالإتفاق مع رجل أو جماعة يقال عنهم أنهم أعداء الوطن .

الخيانة، تبذير ثروة الوطن، الخيانة أن تؤثر المعاملات الأجنبية والسلع الأجنبية والدخان الأجنبي ، والقماش الأجنبي ، والحذاء الأجنبي على ما قد صنع بيد وطنية وخرج من معمل وطني.

هذه جملة الخيانة في عرف الأخلاق الوطنية، والشعور القومي. إن كل فلس هو من ثروة العراق ينفق خارج العراق – بدون مصلحة ضرورية – يعد جنائية على القومية العراقية. إن الزمان لا يرحم، والرحمة الحقيقية هي ثروة القوم، هي مقدره البلاد المالية والاقتصادية ، ولنا في الأحوال الغابرة بل في الأحوال الحاضرة أحسن موعظة وذكرى . أنفحص الشعوب التي سادت على العالم وندرس تلك السيادة أليست هي نبت القدرة المالية. لا نطن أحداً ينسى أو يتناسى كلام المسترد لويد جورج الوزير البريطاني إذ كان وزيراً للحكومة البريطانية إبان الحرب الكبرى ، إذ سؤل يوماً عن كون الغالب في نتيجة تلك الحرب الكونية ، فقد أجاب بجواب جدير أن يسطر بالذهب حيث قال : (إن الظفر سيعقد لمن يملك آخر شلين يصرفه على الشؤون الحربية) وتلك هي الحقيقة التي انجلت فعلاً للعالم أجمع : هكذا كان جواب ذلك البطل الذي أشغل رئاسة أعظم وزارة في الدنيا في أخرج زمن من تاريخ البشر.

هل يتصور أن رجلاً كلويد جورج يتكلم جزافاً في تلك الأوقات الحرجة ، ويلقى الكلام على عواهنه؟ لنتعظ بمثل هذا ، وإنما العاقل من اتعظ، ولا نطلب من معاصرنا ، فتح معامل الدردنيوطات ولا العواصم ، ولكننا نريد الاعتناء بمحافظة هذه الثروة الضئيلة التي أبقتها

النائبات بين أيدينا ، والتي لم تصل إلينا إلا بالمشقة والتعب وعرق الجبين. فإذا لم تنتبه الأمة منذ الآن إلى مثل هذه الأمور – التي ربما يوجد من يعدها من باب السخافات – ، فلا بد أن يأتينا يوم سوف لا نبالي فيه بجلب البنائين والطباخين من الأجانب، ثم هلا نعد من الراقين إذا لم ننفق أموالنا على المعمولات الأجنبية.

نعم إذا كنا نبدي لهم ملاحظتنا ونساعدهم على إتقان العمل بترويج بضائعهم ومصنوعاتهم ، إذ لا بد بذلك يتشجعون قليلاً ، فيحسنون صناعاتهم ويتقنون معمولاتهم ويعيشون سعادة في عقر دارهم.

لنفكر قليلاً باليأس الذي يستحوذ على الصانع الوطني ، عندما يشاهد الأجنبي مزاحماً له في مصنوعاته في عقر داره ، كأنما يحاربه بثروته وبسلاحه، إذ يجب علينا التعاون في هذا الميدان ، وليس هو إلا ميدان كفاح حقيقي.

وإذا ما أعرضنا عن التعاون ، فهل يكون حظنا من الحياة غير الفشل والخذلان؟ إننا لا يجوز لنا أن نستصغر الصناعة الوطنية ، مهما كانت ، ولا أن نحتقر مواردها ، ولا ينبغي أن يغرب عن بالنا بأن حياة القوم أشبه شيء بماكينة كبيرة يختل نظامها بتوقف أصغر آلة فيها عن العمل. إن جميع الصنائع لها مكانتها في جسم الهيئة الاجتماعية ، ولكل احتياج منزلة في سلسلة الاحتياجات ، ولكل من تلك الاحتياجات قيمتها الاقتصادية ، ولا يموت الاحتياج ما لم يرق مقامه آخر ، هذه قاعدة من قواعد علم الاقتصاد لها حكمها في كل زمان ومكان .

إذا يجب على الأمة العراقية الانتباه إليها ومراعاتها كل حين. أما واجب الحكومة فهو ملاحظة هذه الحالة ومعالجتها بأنجع الوسائل وبالطرق العملية لا بالطرق الخيالية الجذابة الخلابة (على الورق فقط) .

قد يخطر لنا سؤال وهو: ماذا يمنع الحكومة عن ضرب مكوس باهظ على ذلك القسم من المدخولات الأجنبية؟ ولماذا تتأخر الحكومة عن القيام بهذا الواجب ، وهو واجب ليس بالصغير ، ثم ما الذي تنتظره ؟ هل السبب عدم وجود نقابات للعمال في هذه البلاد لتملأ البلاد ضجيجاً؟ هل تريد تعويد الأهالي على نيل مساعداتها بالاعتصابات والمشاغبات أم هل أنها لا تشعر بهذه الكارثة؟ أم هل السبب عدم وجود من يدون عدد العمال البطالين ونشر القوائم الأسبوعية بأسمائهم وعددهم في الصحف – شأن البلاد الأجنبية – كي يطلع الشعب على درجة جهود الحكومة في سبيل النهوض به؟

إننا نود أن يعلم أولياء الأمور بأنه لا يكفي فقط فرض ضريبة على الأرباح ، وعلى أرباب المهن والصناعات ، بل ينبغي قبل ذلك أن تتأكد الحكومة من أرباب الصناعات وقد يستفيدون من مهنتهم وصنائعهم فلا بأس إذ ذاك من فرض الضريبة، وبدون ذلك إنا لا نرى أي مسوغ شرعي يسوغ فرض الضريبة على من أسمه صانعاً ، وهو في الحقيقة بطل قد قتله الإفلاس. إننا نكرر الطلب بخصوص تلافي هذا الخطر المحدق بحياة هذا القسم من الصناع والعمال. وهذا ليس بالكثير على حكومة يكون الإخلاص رائدها ومن الله التوفيق .

ميزانية الدولة بين أيدي نواب الأمة⁷⁴

نشرت ، أو ستنشر غداً ، ميزانية الدولة العراقية بموادها وفصولها في البرلمان العراقي لأجل أن تدقق من جانب نواب الأمة ، ولأجل أن تمحص ولأجل أن يناقش فيها على النقيض والقطمير ، فيمحي منها ما يمكن أن يمحي ويثبت فيها ما لا بد منه أن يثبت ، ثم لا بد أن تعرف الأمة بعد قليل من الزمن مقدار دخل خزينة دولتها ، ومقدار مصارقاتها ، ومقدار ما سيقصد لأجل أن ينفق فيما فيه إحياء البلاد وإسعاد الأمة . ولهذا ، فقد باتت الأمة - تنتظر - بفارغ الصبر ، ما سيكون الأمر ، بعد المناقشة ، وبعد التدقيق ، وبعد المحو ، وبعد الإثبات لتعلم مصير أمرها ، فإما التقدم إلى الأمام ، وأما التوقف والرضا بالحالة الحاضرة وهذا ما لا يرضاه كل غيور على مصلحة بلاده ، وأما التقهقر إلى الوراء - لا سمح الله - أما إذا ظهر للأمة فضلة مقتصدة مؤلفة من مبالغ طائلة لا يستهان بها ، فهناك الأمل بالمستقبل الباهر ، وهناك الأمل بالسعادة والنجاح .

وأما إذا ما ظهر التساوي بين الدخل والخرج ، أو كانت الفضلة ، مبلغاً لا يذكر ولا يعبئ به ، فهناك اليأس كل اليأس ، بل هناك موتة الأمل ، والعياذ بالله . لقد قلنا أكثر من مرة ، إذ الاستقلال لا يمكن أن يسمى استقلالاً ، من دون ثروة ، ومن دون منابع للثروة ، ولا تظهر تلك الثروة إلا بالمبالغ التي نجدها قد أصبحت فضلة مقتصدة في ميزانية الدول تتضاعف مبالغها سنة بعد سنة وعراقنا المحبوب ما زالت ميزانيته هي كما هي عليه منذ بضع سنوات ، إن لم يصبها عجز فتقابل بين الواردات والمصارفات ، وإن كان فضلة فلن تسمن ولا تغني من جوع ، ولا يمكن أن تذكر ، وما ذاك إلا لما قد تكبدته من المصارفات الباهضة ورواتب باهضة يمكن تخفيضها ، ووظائف كثيرة يمكن الاستغناء عنها ، وجيوب قضت الظروف بحكم الضرورة أن تملأ من خزينة الدولة بل من مال الأمة يمكن أن يكون قد حان قطع المخصصات عنها ، كل ذلك مما أنك الميزانية ، أضف إلى هذه المبالغ المخصصة للجيش العراقي التي يمكن اقتصادها لو تبدل الأصول . ورجال الأمة والقابضون على إدارة شؤون الأمة في غفلة عن البحث والتنقيب عن إيجاد منابع للواردات وعن البحث عن مشروعات اقتصادية تفيض الذهب والفضة للحكومة والأهلين معاً .

أما وقد أصبحت مقدرات البلاد ومقدرات الأمة بين أيدي نوابها الذين أصبحت المسؤولية على عاتقهم ، فقد فرض عليهم بحكم الضرورة أن يعيدوا كل نظرة تدقيق وإمعان ، وأن يعلموا أن لا قوام للدولة إلا بخزينة مملوئة بالأصفر الوهاج والأبيض الرنان ، ولا استقلال ، بل ولا حياة بلا ثروة ، فالثروة هي روح الاستقلال ثم لا حياة لأمة تثقل عاتقها الضرائب الباهضة والرسوم الفادحة وهي في حالة حرجة يمكن أن يقال عنها أنها عائمة في بحر من الإفلاس ، نظراً لوقوف محور التجارة ، وموت الصناعة والحرف في سائر البلاد العراقية المسكينة ، والزراعة قد شعر بحالها وتعاستها الغريب والقريب ، فعلى نواب الأمة أن يقدموا النظر إذا ما وضعت الميزانية على منصة التدقيق بإيجاد منابع جديدة من الخزائن التي قد ضاقت بها الأراضي العراقية تستدر منها الحكومة ما يملأ خزانتها ، ثم يعطفوا أنظارهم نحو الرواتب الضخمة ثم الوظائف المستحدثة التي قد يمكن الاستغناء عنها وأن يجعلوا الاعتماد الحقيقي على ما يمكن أن يستفاد من تلك المبالغ ، لا على الضرائب والرسوم التي

⁷⁴ علي الجميل ، صحيفة صدى الجمهور ، الموصل ، العدد 13 ، 31 آذار 1927 مقالة رئيس التحرير الافتتاحية .

يجب ضربها على أهالي البلاد التي أسست حالتها الاقتصادية حرية بالمساعدة والعطف والحنان .

حول قانون ضريبة الدخل⁷⁵

من أهم واجبات الصحافة تقوم إبان انعقاد البرلمان بإبداء الرأي العام حول القوانين واللوائح النظامية التي تنظم ، لأن تكون معمولاً بها ، لأن الصحافة لا تكتب إلا مترجمة عن لسان حال الأمة ، وعن اختبارات قيمة حصلتها من درس الرأي العام ، ولذلك فلا ينبغي إهمال ما تبديه ، والضرب به عرض الحائط إذ ربما يكون في ما تبديه من الآراء مصلحة للبلاد . نقول هذا ، وقد ترامي إلينا ، أن الحكومة الموقرة قد قدمت إلى مجلس الأمة – لائحة قانون ضريبة الدخل – وقد أتاحت لنا فرص الوقوف عليها ، فدققناها من أولها لآخرها . وها نحن نبدي ملاحظتنا عليها فنقول :

نشكر الحكومة على استثناء الدخل الزراعي من الضريبة ، وكنا نودّ أن يسري ذلك الاستثناء إلى دخل الأدوات الزراعية أيضاً ، لما يترتب على ذلك من التشويق لاستثمار الأراضي الزراعية المعطلة الكثيرة ، إذ ما دامت الضريبة موجودة على تلك الأدوات ، فلا ريب أنها تستوفى من الفلاح ضمن أثمانها ، فإن تاجر تلك الأدوات لابد أن يضيف تلك الضريبة إلى ثمن الأدوات فيقبضها من الفلاح نفسه .

ثم أن القانون قد شمل الوطنيين والأجانب ، وهذه كذلك حسنة نسجلها للحكومة الساهرة على مصالح البلاد ، ولكن لنا أن نقول أن المراد بالدخل هو ثروة المملكة ، وهي ذات قسمين : ثروة متداولة في البلاد ، تبقى فيها ولا تخرج عنها وهذه هي الثروة الحقيقية ، لأنها كذخر للحكومة عند الملمات . وثروة نازحة عن البلاد ، وهي مما لا ينبغي أن يعتد بها ويعول عليها ، لأنها محفوفة بإيجابيات العهود ، وبقوة الجيوش والأساطيل . وتلك هي رؤوس الأموال الأجنبية المستثمرة في هذه البلاد فيمكن للحكومة عند مسيس الحاجة أن تضع يدها على معمل ، أو مصرف أجنبي ، إذا كان يجب على الحكومة أن تخفض مقدار الضريبة عن الأولى كلما زاد الدخل .

أشارت المادة 13 إلى وجوب ضريبة على دخل المرأة المتزوجة، وهذا غريب في هذه البلاد ونادر الوقوع ، إذ قلما توجد في هذه البلاد نساء – كاسبات – كما يوجد في أوروبا ، فحالة المرأة العراقية معلومة لدى كل أحد حتى عند من سنّ القانون نفسه ، وإذا وجدت امرأة كاسبة ، فذلك من باب النادر ، اللهم إلا إذا كانت بايعة السعد ، أو بايعة اللبن والحطب ، أو بايعة البيض والدجاج من أهالي القرى والأكواخ.

ثم إذا نظرنا بصورة اجمالية إلى مجموع ذلك القانون ، نجده من القوانين الكمالية التي تطبق في بلاد بلغت الدرجة القصوى من الكماليات العمرانية من فن واقتصاد وتوفرت لديها منابع الثروة وقامت فيها أعمال على قواعد العلم والفن ، وأن القانون الذي يوضع مثلاً ليطبق في إنكلترا وفرنسا وأمريكا لا يمكن تطبيقه في بلاد حديثة عهد بتلك الأساليب كبلادنا المتروك فيها كل شيء تحت رحمة الطبيعة ومؤثرات الصدف ، فالطرق المنصوصة في هذا القانون

⁷⁵ علي الجميل ، صحيفة صدى الجمهور ، العدد 13 الأحد 3 نيسان 1927 ، 30 رمضان 1345 .

ليست بمألوفة بهذه البلاد . وكان الأجدد بالحكومة ، قبل كل شيء ، أن تفتح أمام شعبها أبواب السعي والعمل ، وتمهد أمامهم إيجاد أشغال ومهن ، فتقلل عدد جيوش البطالين ، ثم تحي التجارة وتبعثها من رمسها بمعضدة الأهلين بأنواع التشجيع لإيجاد رؤوس أموال ، وتشكيل شركات ، وتأسيس مصارف ومصانع .. فتكون هذه الأعمال كمبرر لمفاجئة البلاد وأهلها المساكين بهذه الضرائب المترادفة .

نعم لا ننكر على الحكومة المحترمة حق فرضها الرسوم والضرائب على الأمة لتصرف على ضرورياتها ، وبالأكثر على أسباب رقيها وسعادتها ، ولكن كيف يريد الإنسان أن يحصد قبل أن يزرع ؟

فعلى الحكومة أعمال الروية والتريث في تطبيق خططها متأملة في موقف البلاد الاقتصادي وحالة الأهلين ، أما إذا قيل أن هناك بعض المصارف - بنوك - مالية أو بعض الشركات ، أو المحال التجارية ، أو غير ذلك ، فنقول : كان يمكن وضع قانون مؤقت يستوفي من مثل ذلك ما يجب استيفاءه ، ثم يترقى قانون الضرائب والجبايات بترقي الأسباب الموجبة ، وبروزها بين طبقات الأهلين بنتائج محسوسة باهرة ، ومع كل هذا ، فإن عدم وجود دفاتر منظمة على الأصول عند أرباب البيع والشراء منها ما يتحقق مقادير ارباحهم مما يستلقت النظر كذلك إذ كان يجب أولاً على الحكومة أن تعمم أمر تعليم أصول مسك الدفاتر التي لم تألفها أهالي هذه البلاد حتى الآن ، قبل أن تطبق القانون . ولهذا ، فأنا نرى أن هذا القانون سابق لأوانه . إن الرأي العام يدعو نواب الأمة الكرام ، أن يمعنوا النظر في مثل هذه الأمور ويقلبوها تمحيصاً وتحليلاً وأن يناضلوا عن حقوق الأمة ، لأنهم هم المسئولون عنها أمام الله وأمام عباد الله .

البطالة داء وبيل⁷⁶

حبذا العصر الجديد ، وحبذا المدنية الجديدة ، وبارك الله في الشباب الناهض ، إذ لا قوام إلا بهم ، ولا توصل إلى السعادة ، ولا يرتجى النفع إلا منهم ثم لا عتب إلا عليهم ، وعفى الله عن شيوخ تحملوا ما استطاعوا وقاموا بقدر ما فرضه عليهم الواجب في أيامهم . وسامح الله كهولاً حالت بينهم وبين نواياهم الأقدار والظروف ، وهكذا قضت إرادة الله عليهم لا نريد تكليفهم بعد الآن عناء الأعمال ، إنما نسألهم آراء أنضجتها التجاريب ، وحكماً درسوها في صحائف الزمان ما بين سود وبيض عسى أن نستفيد فنفيد ، ثم نعلم فنعمل فننفع منتفع ، وما التواني عن العمل إلا إنذار بالبوار والدمار ، وهناك سوء المنقلب وتعاسة المصير والعياذ بالله .

نقول هذا ، وأمامنا جيش جرار من البطالين من أبناء البلاد قد غصت بهم القهاوي ولا تسمع منهم إلا تدمراً وإلا تأففاً . يتشاكون قلة الرزق ، وعسر الحالة ، ونضوب منابع الثروة ، لا يهتمهم إلا أبناء الشمال وأبناء الجنوب يريدون بذلك قتل الوقت لعدم وجود العمل في حين أن أبناء الأمم الأخرى يريدون اصطياد الوقت ليقتلوه بالعمل .

نعيب زماناً والعيب فينا ولو نطق الزمان بنا لهجانا

⁷⁶ علي الجميل ، البطالة داء وبيل ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 17 في 21 نيسان 1927 .

داء وبيل وموت في شكل حياة ، جراثيمه الكسل والخمول ، وربما للتقاليد القديمة والعادات الموروثة أثر في ذلك .

إذا كان يملك كنوزاً من الذهب وذهبت بكنوزه الأقدار ، فلماذا لا أكون فلاحاً أحمل بيدي المحراث وأشق الأرض شقاً لأعيش وأقضي الحياة بالعمل وأكون قد خدمت نفسي وأمتي ووطني .

تلك أبواب الرزق مفتوحة أمامنا على اختلافها وتضاربها ، ولكن الكسل والخمول قد ضرب بيننا وبينها حجاباً لا تمزقه ، إلا هم لا تفتر وعزم لا يتلاشى ، وأمل لا يتزلزل . يقول أحد علماء الإنكليز : إذا كنا نحن الإنكليز نجحنا وتقدمنا كشعب وكأمة ، فالفضل لاجتهادنا وكدنا وجدنا ، بل أننا لا نقصر في سعينا على استعمال قوانا العقلية والجسدية فقط ، بل انثينا إلى القوة الطبيعية فسخرناها واستخدمناها وجعلناها تعمل وتشتغل لأجلنا .

بمثل هذا الاجتهاد وبمثل ذلك الكد ، تحيا الشعوب وتسد الأمم ، وبمثل ذلك الثبات ، تأتي الثروة أم الاستقلال ، وهذه حالتنا الحاضرة على ما فيها من النقصان أجمل وأحسن من الحالة التي عاش عليها الآباء والأجداد ، لا شك في ذلك ولا نزاع ، إذ لنا الامتيازات العصرية ما لم يكن لهم ، فواحدنا اليوم آمن على نفسه من آفات الغدر والظلم وعلى ثمرة محله من أيدي الاكتساف والاستبداد ولنا من المخترعات الحديثة ما يذلل لنا كل صعب ويقرب كل بعيد ، فما بالنا على سرر الكسل بين جدران القهاوي مضطجعين ، ولو كان للدهر لسان لسمعناه يقول لكل فرد منا : اشتغل يابني ، اشتغل ، اشتغل سواء كنت مأجوراً أم غير مأجور ، فكل ما عليك أن تعمل وجزاؤك لن يضيع .

إعمل مهما كان العمل ، إحرب حقل ، أو نسف كهف ، أو بيع حطب .. اشتغل سواء كنت خرافاً ، أم حداداً ، أم نجاراً .. ولكن ليكن عملك بإخلاص وثبات وأمانة ، فلن تعدم أجراً ، ومهما فشلت فلا تيأس ، ولا تجبن . إنك للفوز خلقت ، ولا بد أن تفوز وأقل جزائك عن عمل تنجزه كونك أنجزته وثابرت عليه . هذه كلمة نقول للكثيرين من البطالين الذين ما زلنا نسمع منهم تذررات وشكوى ، لعل يكون لها رنة في أذانهم فيمزق كل منهم رداء الكسل ، ويقوم طارقاً باب التشبث الواسع ساعياً لما فيه حياته وسعادته ، فإن الله يبغض العبد البطال ، ولا يقعدن أحدكم ويقول ارزقني ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وفي هذا كفاية لقوم يعقلون .

لمحة اقتصادية⁷⁷

إن من لاحظ الجرائد والمجلات الفرنسية والإنكليزية ، يجد أن فرنسا وفي بريطانيا كتاب وحملة أقلام ينادون من حين لآخر بوجود عقد اتفاقيات تجارية واقتصادية بين سوريا والعراق وبين إيران ، وربما كان السبب في هذا هو: أن بترول العراق يجب أن ينقل بواسطة الأنابيب إلى البحر الأبيض المتوسط ، لكي يسهل نقله إلى بريطانيا لتخزينه ، أو توزيعه من هناك ، ثم أن تجارة إيران من الأفضل نقلها عن طريق سوريا والعراق ، إذ قد صارت المسافة بين طهران وبين ثغور سوريا في الإمكان قطعها على عشرة أيام الآن. ومن جهة أخرى ، فإن قطن العراق قد أخذ محصوله يزداد سنة بعد سنة ، ولا بد بعد عشر سنوات سيكون لتجارة الأقطان العراقية شأن كبير في البلاد العراقية نفسها وفي البلاد الأوروبية ولذلك فمن المستحسن تمهيد السبل لتسهيل شحنه إلى إنكلترا أو إلى سواها على أن انتعاش الحياة الاقتصادية الذي مازال أخذاً في النمو في سائر بلاد الشرق الأدنى والأوسط ، يدعو بحكم تجار بلدانه ومدنه واشتباك مصالحها إلى عقد اتفاقات تحول دون حدوث مشاكل في المستقبل. وتعوق دون تقدم هذه البلاد في الناحية الاقتصادية بكافة فروعها ، وتقف حاجزاً بين الشرق الناهض وبين أوروبا وتجعل التعاون بينهما مستحيلاً أو صعباً جداً .

وحتى الآن لم نأخذ المسألة صيغة رسمية ، فلم نسمع عن مفاوضات بين الحكومات التي تعود إليها مثل هذه الأمور ، كما أنه لا شيء من الأمل هناك في أن تدور مفاوضات بهذا الصدد في هذه الأيام الأخيرة ، أو الأيام التي تتلوها. ولكن كل ما نعلمه أن مجلة العالمين الإفريقية ومجلة الميدل إيست في بريطانيا وبعض الصحف الإيرانية قد أخذت تحض حكومات بلادها على عقد تلك الاتفاقيات المبحوث عنها وتطلب أن يكون ظهورها من القوة إلى العمل بأقرب وقت يمكن. ولكن هذه الصحف ، لم تتعرض لموضوع الإتفاقات بصورة تفصيلية بل هي أجملت إجمالاً يستدعي عقد فصول إيضاحية ، وفوق هذا فإن الذي قد أخذت تتحدث عنه لا يمكن لأحد منا أن يسلم بكونه أنفع للبلاد وأكثر فائدة وأعظم خيراً ، فلعل هناك كمشاريع أخرى تزيد منفعتها على هذه المشاريع المقترحة فيما يتعلق بالشؤون التجارية في الشرق الأدنى والأوسط .

إذن ، فمن المنتظر أن يطرق هذه المواضيع عدد من الأخصائيين . فمن ذلك مشروع إنشاء سكة حديد تربط البحر الأسود بقلب آسيا وتخرق تركيا وإيران ومنها إلى الأفغان ثم إلى قلب آسيا.

وهناك ، كما لا يخفى على القارئ الكريم ، مشروع جوي عظيم لربط تركيا بإيران يقوم الطيارون الألمان على تنفيذه لمصلحة الحكومتين التركية والإيرانية وهذان المشروعان قد يعرقلان مشروع نقل التجارة الإيرانية إلى أوروبا عبر سوريا .

والخلاصة ، إن هناك عدة مشاريع قيد البحث ، ومن الصعب التكهن بأياها سينفذ وأياها يصعب تنفيذه ، وليس من المعقول ، وليس من المستصوب أن نندفع وراء كل فكرة أو نصفق لكل قول تلمح إليه الجرائد أو المجلات ولا أن تجد أي مشروع كان قبل أن نشاهده وندرك غايته الحقيقية .

وهنا لا يسعنا إلا أن نتساءل قائلين: لماذا لا تعقد هذه الاتفاقيات ؟ ومتى يحل اليوم الذي فيه يجب أن تعقد فيستفيد منها أبناء البلاد الذين هم قد أصبحوا في أشد ما يكون من الاحتياج إلى

⁷⁷ علي الجميل ، لمحة اقتصادية ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 35 في 27 حزيران 1927 .

ما تحدثه تلك المشاريع من الفوائد التي قد تخفف من وطئة الضيق التي أثقلت كاهل أبناء البلاد؟؟

نكبة كرمليس⁷⁸

هكذا يصبح الغني فقيراً، وهكذا يبات الموسر معسراً ، وهكذا تذهب أتعاب المساكين أدرج الرياح ، وهكذا تخرب البيوت، ثم هذا الحادث الذي كنا نحاذر منه ، وهذه النكبة التي ألمت بما يربو على المائتين عائلة ، فتركت رجالها ونسائها ، كهولها وشيوخها يتضورون جوعاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ضاعت الأتعاب، وخاب الرجاء، وكذبت الآمال وأخذ القوم يتساءلون قائلين : من المسؤول عن ذلك ؟ ثم ما هذا إلا من نتائج التأخير وللتأخير آفات .

أضحت هذه النكبة السوداء ، حديث الأندية والمحافل ، فلا تكاد تمر في محل إلا وسمعتهم يتحدثون بالنكبة التي فاجئت أهالي قرية كرمليس ، حيث شبت النار في مزارعهم فالتهمتها عن آخرها ، ولم تترك فيها باقية . وتفصيل الواقعة ذلك : أن النار شبت ضحوة يوم الأربعاء المنصرم وسط بيادر القرية المذكورة ، وبيادر القرية موضوعة في مكان واحد ، بعضها بجانب بعض ، بدرجة يصعب تفريق الواحد منها عن الآخر لعظمتها وكثرة عددها ، إذ أن الفلاحين في هذه القرية ، يكاد يزيد عددهم على المائتين ، كلهم من عمدة الفلاحين أهلكتهم النوائب من قبل هذه السنة ، إذ كانوا مداومين على الزراعة ، بالرغم من كون مزارعهم كل سنة لا تنجو من الآفات ، فأما انقطاع أمطار ، فلا حاصلات ، وإما جراد يقضي عليها فتذهب هباء تذروها الرياح ، ولذلك فإنهم في هذه السنة ، قد استدانوا وباعوا جميع ما يملكون وما تملكه نساؤهم من حل وحلي ، وجعلوه رأس مال لهم للدوام على فلاحتهم ، يرجون عطاء الله ويؤملون لطف الله حتى إذا ما قامت الحكومة لمكافحة الجراد تلك مكافحة التي جعلت الفلاح يكاد أن يكون أميناً على مزارعه معلقاً عليها أملاً كبيرة ، وجعلت هؤلاء المساكين البائسين كذلك ، وإذا بالأوامر تقضي بلزوم تأخير دق ما حصد من المزروعات إلى أجل غير مسمى حتى ينظر في أمرها ، وحصر التخمين بموظفين محدودين مستخدمين بإجرة يومية والفرق بين من يشتغل بإجرة يومية وبين من يشتغل بمقطوع معلوم لا يزيد ولا ينقص هذا يريد تسريع إنهاء ما قد عهد إليه بالمقطوع المعلوم ليعود فيستريح ، وذلك يريد أن يتماهل ويتناقل فتزيد أيامه لأجل أن تزيد أجرته . وهكذا ، أصبح أمر دق المزروعات محكوماً عليه بالتأخير ، ضرورة على أتن العادة المجربة في هذه البلاد المعمول بها منذ قديم الأزمان ، هي أن ترسل المالية محافظين موظفين لأجل منع السرقات المتصور وقوعها ، ثم تعطى المأذونيات بالدق ، لمن ينهي تخمين مزروعاته ، بصورة تدريجية ، حتى إذا ما شبت النار التهمت ما لم يدق وتركت المدقوق ، ولكن الإدارة جرت في هذه السنة إلى خلاف ما كان في السنوات السابقة ، وإذا بنا نسمع كل يوم بوقوع حريق في مكان . ولقد سبق لنا أن نوهنا عن ذلك بأعدادنا السابقة ، وخشينا من حدوث حريق هائل ، ولكن الأقدار أبت إلا أن تقضي على جميع مزروعات هذه القرية .

⁷⁸ علي الجميل ، نكبة كرمليس ، جريدة صدی الجمهور العدد 37 في يوم الخميس 7 تموز 1927 ، 7 محرم 1346 .

نعم شبت النار فلم يشاهدها أحد من أهالي القرية المجاورة إلا وهرعوا رجالاً ونساءً شيوخاً وأطفالاً من مشاة وفرسان ، حتى قيل أنه اجتمع حول النار ما يزيد على السبعماية نسمة ، هذا ما عدا أفراد الشرطة التي التحقت بمعاون مديرها كامل أفندي والمفوض أحمد أفندي الذين بلغهم الخبر في الموصل ، فذهبوا إلى هناك كما أن غبطة البطريرك عمانوئيل أفندي عين الموصل ، وقسم من الرؤوس والروحانيين ذهبوا إلى هناك ، ولكن ماذا يصنعون ، ولا قبل لهم بتلك النار التي ما زالت آخذة بزيادة الالتهاب لحظة بعد لحظة نظراً لهبوب الهواء الذي حدث في تلك الساعة ، فكان الواقف أمام جسر الموصل يشاهد السنة النار متصاعدة في الفضاء والدخان قد جلل الأفاق . وما زالت النار مستعرة حتى صبيحة اليوم الثاني وبذلك قضى على جميع مزروعات أهالي قرية كرمليس ، وكل من له فلاحه فيها وأصبحوا جديرين بالعطف والرحمة والحنان ، بل أصبحوا جديرين بالصدقة لا يملكون قوت ليلة واحدة فضلاً عن الديون التي باتت على عاتقهم.

فيا ليت شعري من المسؤول عن النكبة التي ألمت بهؤلاء المساكين أمام القانون ؟ بل من المسؤول عن المصيبة التي انتابت أولئك البائسين أما رب العباد ؟ أما أصل المزروعات التي التهمتها النار ، فتقدر على ما يقول العارفون ، بما يزيد عن 12 ألف طغار⁷⁹ قمحاً وشعيراً وعدساً وحمصاً وما شاكل ذلك من المزروعات الشتائية ، هذا فضلاً عن المزروعات الربيعية التي لم يسلم منها شيء يذكر . ويقول العارفون أيضاً أن السرقات التي كان يتصور وقوعها من حصة الحكومة من جميع مزروعات الموصل وقراها ونواحيها لو وقعت لما كان يساوي مقدارها ما احترق في قرية كرمليس ، وفي ناحية تلغفر ، وفي الشرقاط ، وفي حمام العليل ، وفي باقي الجهات . فعسى أن تكون هذه المصيبة خاتمة المصائب التي ما زالت تحل بالفلاحين ، وعسى أن تكون هذه الواقعة أحسن منبه للإدارة في السنين الآتية ، فيعدلوا كيفية إدارة الأعشار ، ويكونوا بتعديل هذه الطريقة قد حفظوا حق الحكومة ومعه حق الأهلين وأن في هذا موعظة لقوم يفقهون .

⁷⁹ يقصد بالطغار وحدة وزن ما زالت مستخدمة للوقت الحاضر وتساوي تقريباً 300 كغم .

لا تكاد تمر أمامك صحيفة سورية في هذا الموسم، موسم الحر والقيظ إلا وتجد فيها مباحث وطنية قد أشغلت عواميد الصحيفة عن الاصطيف، ومواقع الاصطيف، ولا يكاد يقع نظرك على صحيفة عراقية، أو غير عراقية، شرقية أو غربية، إلا ووجدت فيها، أن اللورد الفلاني، أو معالي الوزير الفلاني، أو معالي العين الفلاني، أو معالي النائب الفلاني، أو سعادة الوجيه الفلاني، أو عطوفة المثري الفلاني قد ترك بلاده وذهب ليصطاف في ربي لبنان .

نعم ! حبذا السياحة في البلاد الأجنبية والإطلاع على ما خلق الله، وحبذا الاصطيف، وحبذا ما ينجم عن الاصطيف من الفوائد الصحية، ومن راحة الفكر واستراحة البال، ثم ما أجمل لبنان ! وما أجمل انجاده وأغواره، وما أعذب نسيمه وماؤه، وما ألطف حدائقه السنديسية، وأزهاره الزكية، فعيون جارية وينابيع متدفقة، وحدائق غناء، ونسمات بليلة، وبلابل مغردة، وسماء صافية، وثغور باسمة، ووجوه تسطع منها أنوار الصحة التامة، ولكن أليست أماكن الاصطيف عندنا لو تفقدناها لوجدناها أكثر من أماكن لبنان، وأجمل منظراً وأخف هواءً، وأعذب ماءً! أخرج من الموصل وأقصد ما شئت أي الطرق كان، فهذه جبال العقرة، وجبال زاخو، وجبال دهوك، وفيها بريفكان، وجبل أتروش وفيه زاويته، وتلك جبال العمادية، وفيها بامرني . وأما شئت، فلا تبعد، بل أقصد عين الصفراء، وعرج على جبل الشيخ متي، أو أقصد جبل ألقوش، أو ارجع إلى بعشيقية وبحزاني، وإن شئت الأبعد فاذهب إلى شقلاوة وشقلاوة أشهر من أن تعرف وكل الصيد في جوف الفرا .

وإن شئت، فاترك الكل، واقصد جبل سنجار، فهناك كل ما تريده من عذوبة ماء، وخفة هواء، وعيون، وينابيع، وحدائق، وأزهار، وفواكه، وثمار، ولكن مظلومة هذه البقاع إذ لم نزل نحن إلى استنشاق نسيمات المدينة، ونتوق إلى مصافحة الحياة الجديدة لتدر علينا ذهباً وفضة . نعم تلك أماكن كثيرة وكبيرة ولكنها تحتاج إلى أيد عاملة، ورجال عالمين عاملين يزرعون فيها أزهار المدينة ويعملون على تعديل طرقها، فإنها بدرجة لا يمكن أن تسير بها السيارات وأن تدور بين منعطفاتها الوعرة تحتاج إلى رجال يعلمون سكانها ما تقتضيه روح الانتظام، وما تتطلب الحياة الجديدة ومن الاعتناء بالنظافة وتحسين العمران يلقونهم كيف بمثل هذه الأمور يصبحون من أهل الثروة والمال، وكيف بهذه الطرق إذا اتبعوها يحيون حياة سعيدة ليس بينها وبين الحياة التي هم عليها أي نسبة، فإذا ما استيقظت أفكار سكانها، لذلك، ونهضوا للجد والعمل وجدت الفرق بين مصايفنا وبين مصايف لبنان . وعلمت أيها العراقي الكريم، إذا ما كنت نائباً، أو كنت عيناً، أو كنت وزيراً، أو كنت وجيهاً، أو كنت مثرياً دراهمك التي تخرج من جيبك ترجع إلى جيوب أبناء بلادك وإلى خزانة أمتك فتكون قد خدمت صحتك ونفسك وبلادك وأمتك وحكومتك، وليس ذلك على الله بعزيز .

⁸⁰ علي الجميل، عندنا أكثر مما عندهم، جريدة صدى الجمهور، العدد 40 في 18 تموز 1927 .

حاجتنا إلى الصناعة⁸¹

أمامنا الآن التقرير السنوي الذي أصدرته وزارة المعارف الباحث عن سير المعارف في عراقنا المحبوب في 1926-1927 ، وسننشر منه شيئاً ، وسننتقد منه أشياء ومما لا شك فيه ، لا ريبه لنا به أن المعارف التي كان قد نصيبتها أرقاماً ليست بقليلة من ميزانية الدولة نجد نجاحها أيضاً ليس بالقليل وإذا ما أثبت لنا ذلك التقرير السنوي أن النجاح هو كثير ، فلنصدق ذلك القول ، وهذا الإثبات ولنوقن به حق اليقين ، ولكن ليت شعري بماذا سيقابل العراق ذلك الجيش الجرار الذي سيظهر بعد قليل من السنوات مؤلفاً من تلامذة المدارس المتعلمين المأذونين ؟ لا شك أنهم يريدون أن يعيشوا وأنهم يريدون لهم وظائف في هذه البلاد لأنهم لم يتعلموا إلا علماً ، والعلوم لا يصلح صاحبها إلا في الوظائف والوظائف معدودة والاحتياجات محدودة ، إذاً فماذا هم صانعون ؟ إن ذلك الجيش الجرار الذي سيصبح في العراق مؤلفاً من أولي الشهادات العلمية الفنية سوف لا يكون له إمام بأي صناعة كانت ، فهل نحن عن الصناعة مستغنون ؟ إننا نريد أن نعيش ، وإذا كانت المعيشة منوطة بالصناعة ، ذلك خير من أن تكون منحصرة بالوظيفة ، إذا ما تعلمنا العلوم ، فأمامنا واجب هو أهم منها بالنظر إلى الحالة الاقتصادية العائدة للبلاد ، فأين العمال وأين الصناع وأين المدارس الصناعية ، وأين دارسو الصناعات ومتقنوها ؟ وأي صناعة بسيطة ظهرت عندنا وهل فكر الجمهور يوماً بالإخراجات التي تخرج من هذه البلاد ، وقابل بينها وبين الإدخالات ، فحالتنا من هذه الجهة مضحكة مبكية ، فمدخولاتنا الأجنبية كثيرة وكثيرة جداً وإخراجاتنا تكاد أن تكون منحصرة بالروبينات لا غير ، وبلاد هذا شأنها لا يؤمل من مستقبلها الاقتصادي خيراً أبداً ، فهل للحكومة وهي المسئولة عن ذلكم ، أن تعطف نظرها نحو هذا فتعير الصناعة في هذه البلاد بعضاً من الالتفات الذي قد أعارته للمدارس العلمية وتعطي جزءاً إلى الصناعة من الاهتمام الذي قد وجهته نحو بث العلوم والفنون .

أمامنا الآن مدرسة صناعة واحدة في الموصل ، بينما كان يجب أن يكون فيها مدارس كثيرة صناعية وهذه المدرسة الصناعية لا نقول بعدم فائدتها ولكنها لا تكفي لما يتطلبه لواء كبير كهذا ومهما بلغت هذه المدرسة الصناعية من الانتظام ومهما حاول مديرها النشيط أن ينهض بها إلى درجات الكمال ، فإنها لا تسد الفراغ ولا يمكن أن تسميها مدرسة صناعية راقية من كل الوجوه ، بينما الحكومة قد خصصت لها من ميزانية المعارف مبلغاً ليس بالقليل وإذا كان في هذا اللواء مدرسة صناعية واحدة فأين هي المدارس الصناعية التي يجب أن تكون مفتوحة في باقي الألوية العراقية ؟

فإذا ما كانت البلاد العراقية قد استكملت حاجتها ، أو كادت ، أن تستكملها من المدارس العلمية ، نجد البلاد في حاجة ضرورية إلى المدارس الصناعية التي تتطلبها حالة البلاد الاقتصادية ، وإذا ما دققنا حالة المدارس العلمية الموجودة في هذا اللواء ووجدناها ليست بناقصة ، نجد مدرسة الصناعات عندنا ينقصها أشياء كثيرة فهل لأولياء الأمور أن يعطفوا أنظارهم نحو الصناعات بعد الآن ويكونوا قد أحسنوا صنعاً مع أبناء البلاد .

⁸¹ علي الجميل ، حاجتنا للصناعة ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 62 في 10 تشرين الأول 1927 .

يجب تشجيع التاجر 82

لقد كانت مدن العراق والأناضول وسوريا كلها وحدة اقتصادية قبل الحرب ، فكانت مصنوعات دمشق وحمص وحماء وحلب وترسل إلى أسواق الأستانة وأزمير وسائر مدن الأناضول وترسل مصنوعات الأستانة وأزمير وديار بكر ودمشق والمدن السورية بأجمعها إلى أسواق العراق ، وكان العراق يرسل بالكثير من منتوجاته إلى أسواق سوريا كما كانت بيروت تبعث بالبضائع التي تستوردها من أوروبا إلى داخل بلاد العرب والأناضول عن طريق دمشق فحلب ، فلما جاءت الحرب بويلاتها ، وقضت مصالح المنتصرين بتقسيم تلك البلاد وإيجاد أنظمة سياسية مختلفة فيها بدلاً عن ذلك النظام السياسي الوحيد وأصبح كعدد من تلك المدن المنسلخة من الإمبراطورية التركية بيد حكومة من الحكومات ، تبعث على التجزئة الاقتصادية والتجزئة السياسية ، فاختل توازن البلاد التجاري والاقتصادي واقفات وجوه المصنوعات والواردات ، ونتاج هذه الأراضي أسواق كانت مفتوحة لها ، وذوت التجارة التي كانت زاهرة من ذلك ، فأخذ الناس يلجأون إلى التفتيش عن أبواب جديدة للرزق ، وها هم الموصليون من جملة أبناء أولئك البلاد ، فالتجارة ذات الشأن العظيم التي كانت قبل الحرب في الموصل قد أمست بعد الحرب لا أثر منها ولا عين ، والتجار الذين كان يشار إليهم في ميدان التجارة قاطعوها ولجأوا إلى موارد للرزق غيرها ، فمنهم من طرق باب الفلاحة ، ومنهم من حصر معيشته بأملأك صان بها دراهمه وحفظ تحت احجارها ثروته ، ومنهم من بقي مكتوف اليدين لا يدري ماذا يصنع ينتظر اليوم الذي قد تبعث فيه التجارة من مرقدتها ، إذ البلاد التي يقضى عليها تبدل النظام السياسي بالإنحطاط الاقتصادي ، لا يمكن أن يستقر لتاجرها حالاً ، ولا ينعم له بال ما لم تفتح أمام عينيه أبواب جديدة للإرتزاق . لقد كان بوسع التاجر العراقي أن يدير دولاب تجارته طول سنته بأموال يستوردها من البلاد السورية ، أو من بلاد الأناضول وبأموال يبعثها من هذه البلاد إلى تلك البلاد لا تحتاج إلى شيء من المصارفات إلا ذلك المبلغ الزهيد الذي هو إجرة النقل والشحن . أما الآن فمن جملة ما أحدثه تبدل النظام السياسي هو رسم المكس والكمارك الذي لم يتعود عليه التاجر الموصلية منذ خلقه ، فيصعب عليه تعاطيه واستعماله بأي وجه كان . هذا سبب من جملة الأسباب التي دعت كثيراً من التجار إلى خلع ثوب التجارة وتطليقها طلاقاً لا رجوع من بعده ، في حين أننا نعلم أن هذا أمر قد لا تحمد عقباه ، لأن البلاد التي تريد أن تسير في سبيل الرقي والتقدم يجب أن تكون فيها حركة تجارية قوية دائمة مستمرة تدور بكل جد ونشاط لأن التجارة أساس الثروة والثروة أساس التقدم وأكبر شيء لازم للبلاد .

إذاً يجب علينا أن ندرب التاجر بصورة تدريجية وبأسلوب مرضي على أصول الكمارك والمكس الذي لم يتعوده من قبل مدة حياته ، ونشجعه بحسن المعاملة على المواظبة على التجارة ، وتوسيع نطاقها بمساعدات وأرشادات تقدم إليه من جانب كل موظف بدائرة الكمارك والمكس على أنه تكون تلك المساعدات والإرشادات بعذوبة لسان وبشاشة وجه وحسن معاملة ومجاملة في الكلام فقد يحدث الكلام الحسن في بعض القلوب ما لا يحدثه شيء آخر ، وقد يمكن للإنسان أن يتوصل إلى أغلب مقاصده بلسانه أحسن مما يتوصل إليها بأي قوة كانت ، وإذا ما بذل الموظف كلاماً جميلاً أمام مرتجع يراجع فلا نظن ذلك

82 علي الجميل ، يجب تشجيع التاجر ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 71 في 14 تشرين الثاني 1927 .

الموظف يكون قد أخل بوظيفته أو بواجبات وظيفته ، وإذا ما أبدى ذلك الموظف نوعاً من اللطف والبشاشة لمراجع يراجع لغرض أو لمقصد ، فلا نخال أن ذلك الموظف يكون قد خان حكومته وكل مراجع يعلم أنه لا يراجع إلا رجلاً عاملاً قد نصب ليقضي حوائج الناس ويعيش بإجرته.

نحن في إفلاس⁸³

وطن، ووطنية، وزعامة، وديمقراطية، وقضية، نعم كلها مقدسة، وكلها محترمة، وكلها على العين ثم الرأس، أمانة وصدقنا ولكن هل علمنا، وهل أيقنا أن هذا الوطن قد بات في إفلاس؟ أجل! في إفلاس وإفلاس وإفلاس ، فالوطن الذي نتفادى في محبته لا تنفعه تلك المحبة، إذا ما بقيت أراضيها قاحلة جرداء، ومياهه تجري عبثاً لا ينتفع بها. والزعامة التي قد عشقناها، وبتنا نسامر النجوم طول الليالي من أجلها لا نجد فيها نفعاً إذا ما بقينا مفلسين والديمقراطية التي لا نزال نلهج بها كل لحظة ونتلمسها لا تكشف عنا هذا الإفلاس الذي قد خرب اطنابه في البلاد.

والقضية التي خدمناها والتي سنخدمها طول أيام حياتنا ونجلها ونقدسها ونصطاد بها مأربنا لا تنفعنا شيئاً إذا ما شاهدنا كل يوم عدد البطالين في ازدياد. إذاً فكل من الوطنية والزعامة والديمقراطية واجب عظيم فوق كل واجب ألا وهو (خدمة البلاد) وليست خدمة البلاد بالقول باللسان والتذمرات بين جدران الأندية وتحت سقوف المقصورات، بل الخدمة هي بالعمل والكد والجد فهذه البلاد التي قد ساد فيها الإفلاس، تطلب منا مشاريع كثيرة لتشغيل أيدي البطالين الذين قد غصت بهم الأندية والفهاوي والأسواق لا يعلمون ماذا يفعلون تمر عليهم الأيام والليالي لا يرون الربية ولا الروبية تراهم وهم لا يدرون كيف يعيشون؟

إن الرأس العام في البلاد يرقب بفارغ الصبر افتتاح مشاريع كبيرة لتنتفع البلاد وتنتفع أبناء البلاد فقد سأم الانتظار، حيث طال الأمد ونفذ الصبر ، فأصبح لا يعلم متى يحل اليوم الذي يُشاهد فيه المشاريع الاقتصادية قد كشفت عن وجهها الاستار، ولا يُعلم إلى أين نحن سائرون. نعم إنا نتذمر كما تتذمرون من المصنوعات الأجنبية التي تدخل البلاد وتتضاعف كميتها يوماً فيوماً ... علينا مقابل مبالغ تخرج من جيوب أبناء البلاد لا يدخ... غيرها في الجيوب عوضها. ولكن ما الذي جدران الأندية؟ إذاً يجب أن ننصرف عن الكلام الفارغ ونتوجه نحو الجد والعمل الحقيقي ونتفق و... على تأسيس الشركات وفتح المشاريع الاقتصادية وجلب المال فنوسع تجارتنا ونبعث الصناعات مرقدها ونشغل أيدي البطالين.

فالوطني والزعيم والديمقراطي وخادم القضية وحجب البلاد وعاشق الأمة من قام بتأسيس مشروع زراعي أو صناعي أو جلب معامل فأفاد واستفاد ونفع وانتفع وكان من المفلحين، وها هم أصحاب رؤوس الأموال منا وأصحاب الثروة الكائنة أي مشروع أسسوه، وأي عمل فتحوه، وأي صناعة ...، وأي منسوجات وطنية أقبلوا عليها وشجعوا القائمين بها والعاملين عليها؟ الجواب: لا، ولا، ولا – إذاً فمستقبلنا الاقتصادي ليس بحسن وليس بوضاء، وليس كما نحب و...، وهذا عدد البطالين سيتضاعف يوماً بعد يوم وستذهب هذه البقية الباقية في جيوبنا من دراهم بعد قليل من الزمن وهناك لا ينفخ الندم فهل نحن لمثل هذا منتبهون؟

⁸³ علي الجميل ، نحن في إفلاس ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 74 في 28 تشرين الثاني 1927 .

الاستقلال السياسي نتيجة الاستقلال الاقتصادي⁸⁴

تناقلت الصحف المصرية والسورية تصريحات جلالة ملك العراق المفدى فيصل الأول عندما قابل جلالته مراسل جريدة الأهرام المصرية في الإسكندرية ، وتكاد أن تكون تلك التصريحات أغلبها حول مستقبل القطر العراقي ، وما كان من المفاوضات التي جرت في لندن حول المعاهدة العراقية البريطانية . وقد أفرغ المراسل ما اقتبسه من تصريح جلالته ببحث فصله لقراء الأهرام، وكان جلالته الملك فيصل عندما وصل في تصريحاته عن قضية دخول العراق في جمعية الأمم قال ما خلاصته :

" والمرجو أن تتصرف البلاد العراقية بعد هذا إلى تنظيم شئونها الداخلية ، وإنهاض زراعتها وصناعاتها ومعارفها ، فإن تقدمها في هذا المضمار يوصلها إلى تحقيق جميع رغائبها ويثبت للإنكليز أن ما طلبته في هذه المرة كان مبنياً على قابليتها الطبيعية للنهوض."

وها نحن نبني ، مقالنا الافتتاحي ، في هذا اليوم حول إنهاض الصناعات فنقول : لم يكن استقلال الأمم السياسي إلا مجموع عادات، وأخلاق، ثم علوم وفنون، يقتبسها الشعب وبها يتقدم بالصناعات والاختراعات ، فيتمكن من القيام بالمشاريع الاقتصادية وذلك الشعب البريطاني لم يكن ليبلغ من العظمة والسيادة لو لم يعتمد على اجتهاد أبنائه واشتغالهم بالمهن والصناعات ، وتفوقهم بالماديات. فليس الاستقلال السياسي إلا نتيجة الاستقلال الأدبي ثم الاقتصادي. وإذا كما أردنا أن نسير في سبيل الصراحة في كلامنا فليساعدنا الجمهور العراقي ، بأن نقول: إن استقلالنا السياسي الذي نريده ونتفادى في سبيله لا يتم ما لم نضع له أساساً رصيناً يمكن أن يشاد عليه صرحاً مكيناً، وليس ذلك الأساس الرصين إلا السعي بتوسيع الصناعات الوطنية وتشجيعها ومعاوضتها ومناصرتها بالحث على الإقبال عليها وبتفضيل ما تصنعه أيدي أبناء البلاد العراقية على ما تصنعه الأيدي الأجنبية، فمحال أن نتقدم الصنائع عندنا أو أن تميل النفوس إليها من دون تشجيع ليقف العراقي الوطني الغيور الذي يتدفق حماسة أمام المرأة ولينظر من رأسه حتى قدمه أي شيء قد لبسه من المنسوجات أو المصنوعات الوطنية في حين كوننا نجد في بعض المصنوعات أو المنسوجات الوطنية العراقية ما يفوق على المنسوجات أو المصنوعات الأوربية وهذه أصوافنا وتلك أقطاننا تستوردها المعامل الأوربية من بلادنا بأبخس الأثمان ثم لا نلبث يوماً أو بعض يوم إلا وتعاد إلينا فتباع عندنا بأغلى الأثمان فهل استيقظ لهذا أرباب الثروة ورؤوس الأموال منا الذين لا يصعب عليهم عقد شركة لجلب معامل للغزل والنسيج وما أشبه ذلك فشغلوا الأيدي العاطلة ونفعوا وانتفعوا وخدموا البلاد خدمة بالعمل لا بمجرد القول ؟

نحن لا زلنا ولا نزال نتفادى في سبيل الاستقلال ، ولكن ما الفائدة إذا ما حررتنا أوريا تحريراً تاماً وطوقتنا بأطواق اقتصادية علينا فكها أو تحطيمها؟
فالأمة التي لا تدعم استقلالها السياسي بالاستقلال الاقتصادي هي ليست من الاستقلال الحقيقي على شيء.

⁸⁴ علي الجميل ، الاستقلال السياسي نتيجة الاستقلال الاقتصادي ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 80 في الخميس 29 كانون الأول 1927

فواجب الوطنية يدعوننا لأن نقوم بمناصرة الصناعات الوطنية وتوسيع نطاقها والإقبال على ما تصدره الأيدي العراقية، كما أن من واجب الحكومة أن تعير هذه القضية شطراً من الاعتناء فإن ذلك معنى من التشجيع!

إلى العمل⁸⁵

هو ذا القطر العراقي لقد أصبح في حالته الحاضرة وفي ظروفه الأخيرة محتاجاً إلى رجال عالمين عاملين في جميع فروع الحياة يخدمون المصلحة العامة كما يخدمون أنفسهم ولا تتباين عند الوطني الحقيقي الصادق أنواع هذه الخدمة إذ هي واحدة بكل عين الكلمة سواء كانت في دكان الحداد أو في مجلس الوزراء والقطر العراقي قد بات يدعو اليوم بأعلى صوته كل مقتدر على العمل فيه من الشبان أو الكهول أو الشيوخ إلى لا لتثبت بعمل من الأعمال النافعة التي هي بدائرة اختصاصه على أن يضع أما عينيه هاتين القاعدتين الفاضلتين : (إفناء المنافع الخصوصية في سبيل المنافع العمومية) (وأن العمران الوطني العام إنما يتألف من مساعي أفراد الأمة كل ضمن دائرة عمله مهما كانت هذه الدائرة ضيقة) فالصحافي يجب أن يعمل على ترقى صحافته ، والتاجر يجب أن يعمل على توسيع نطاق تجارته ، والفلاح يجب عليه أن ينشط لتحسين حالة زراعته وتحويلها بصورة تدريجية إلى ما يقتضيه الفن الزراعي الحديث وهكذا المعمار والحداد والنحاس وباقي أرباب الحرف، على أن يثابر كل واحد من هؤلاء على ما قد فطره الله تعالى عليه، وأن لا يهمل مهنته ويقذفه التيار إلى غير ذلك مما لا علاقة له به من الشؤون فلا يجوز للسياسي أن يصبح تاجراً كما لا يجوز للنجار أن يهمل مهنته مثلاً وتميل به الأهواء فتقذفه في بحر السياسة فإن هنالك الفرق لا محالة على أن لا يتسنى للعراق أن يظهر بالمظهر التي قد ظهرت به الأقطار العربية من التمدن والرقى في يسير من الوقت .

نعم لأنه خارج حدينا من متاعب شتى ولم تنهياً له كل الأسباب التي تؤهله إلى النهوض العاجل وتهيئة هذه الأسباب من الأمور الشاقة أيضاً، ولكن يجب علينا أن نقابل كل صعب بكل استعداد وبكل نشاط، ومن غير خوف ومن غير وجل وأن نكون في كل حين متعاضدين متكاتفين كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً أمام المصلحة العامة على أن لا تعبت بنا زوبعة مهما كانت هائلة، ولا يستفزنا بوق خلب ، ولا يميل بنا هوى ، ولا تخدعنا سفسطة ، ولا تغرينا مشاغبة ولا تخيفنا زمجرة؛ كي نتمكن في سنوات قليلة من أن نبرز إلى العالم الغربي المتمدن ما لم تكن لنتمكن من إبرازه الأجيال فيما مضى وانصرم . لا عيب في الاحتراف بالحرف ، كما لا عيب في الخدمة ، ولا عيب في الاستخدام ، فأسباب الرزق لا تظهر ومنابيع الثروة لا تتدفق إلا بالعمل وأهم غايتنا أننا نود أن يدرك ناشدوا الديموقراطية وعشاق الحرية معنى الخدمة الشريفة والصناعة الحرة لأجل أن يتخلصوا من قيود الأوهام الارستقراطية التي كثيراً ما تمنع الناس من الإقدام على العمل مهما كان نوعه ولا يقعدن أحدكم ويقول ربي ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ، والأنهار لا تفيض فضة ومن حرك يده وأيقظ همته فلا بد أن يفتح أمامه باب الثروة ، والثروة أساس كل شيء ومفتاح كل باب . فإذا ما بلغنا هذا الحد من السعي والعمل وبلوغه متوقف على تعميم المعارف ونشر

⁸⁵ علي الجميل ، إلى العمل ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 111 في 30 نيسان 1928 .

العلوم وتتنوير الأفكار حق لنا أن نفاخر الشعوب وننازعهم أسباب الرقي والعمران. نكتب هذا ونحن نفكر بفريق من أبناء هذا الوطن العزيز لا يدل سلوكهم على أنهم يتشوقون للخدمة، والعمل إنما هم قد صوبوا أنظارهم نحو أبواب الحكومة وطمحت نفوسهم إلى الكراسي الضخمة لنيل الألقاب والرواتب لا غير على حين أنهم ممن يجب أن تكون لهم اليد الطولى في شأن تشجيع المصنوعات الوطنية وتوسيع نطاق التجارة، وتحسين حالة الزراعة فعسى أن يكون من وراء كلمتنا هذه ما يدفعهم إلى التشبث بالأفعال التي يمكنهم بواسطتها أن يخدموا البلاد خدمة مثلى، وما ذلك على من أحب النفع بعزير.

حول المصرف الزراعي⁸⁶

افترش الأرض والتحف بالسما والسماء وبعد إذ ذاق حر الشمس أو قرّ البرد ثم لم يتنفس صبح ذلك اليوم إلا وقام بكل نشاط قاصداً المرابي حتى إذا ما وصله ثم دخله قدم إليه نتيجة أتعبه وما بعثته إليه الأرض من الخيرات.

هذه حالة الفلاحين عندنا في هذه السنوات الأخيرة الذين نكلوا بأنواع النكبات فالمرابون أمامهم لا يعرفون الرحمة ولا تأخذهم رافة، وليس بين طيات قلوبهم قليل من رقة دأبهم جمع المال فهو الكل في الكل على ما يعتقدون ، فالفلاح في حالة يرثى لها وأنه لجدير بالمعاونة وبالرافة في كل حين فهو فخر البلاد وهو خير من يخدم البلاد وهو الوطني وهو الغيور وهو خادم الأمة ، فقد كادت أن تصبح إنتاجات هذه البلاد محصورة بمحراثه، فإذا ما ساعده أحد فكأنما قد ساعد البلاد أجمع، وإذا ما أساء إليه أحد فكأنما قد أساء إلى البلاد.

سبق لنا أن بحثنا في مقالنا الافتتاحي من عدد سابق إحتياج الفلاح إلى (مصرف زراعي) ثم لفتنا أنظار أولياء الأمور إلى تلك النقطة الحيوية للفلاح ، وكأن ذلك الموضوع قد راق في نظر القسم الأكبر من الفلاحين ، فاقترحوا إعادة البحث حول ذلك الموضوع ، لعل أن يكون البحث من باب الذكرى لأولياء الأمور ، فإن الذكرى تنفع المذكرين .

نعم إن بلاداً تكاد أن تكون في إنتاجها متوقفة على خيرات أراضيها ، يجب أن يعاضد من يحرث أراضيها ، ليقف على تلك الخيرات ، وتلك الأهوال التي قاساها الفلاح من تلك الآفات التي أصابته سنة بعد سنة وقادت به إلى الهلاك فيأت رازحاً تحت أعباء الديون ، وإذا ما سلم من الديون فمتى يسلم من فائض الديون وفائض فائض الديون وهلم جرا تلك الفوائض التي يضاعفها عليه المرابي لحظة بعد لحظة اللهم إلا إذا كان يتخلص منها عن الصراط يوم يبعثون .

مسكين هذا الفلاح يذوق الأهوال ويقاسي الأتعاب خدمة للأمة والبلاد ، ثم يضحي نفسه بسكين المرابي أمام الملأ والناس هذا إذا سلم من الآفات السماوية وطويل العمر من يسلم. فالفلاح في يومه محتاج إلى (مصرف زراعي) يأم بابه كلما احتاج إلى شيء من النقد لسد حاجته ولقد كان هذا المصرف الزراعي زمن الحكومة السابقة أحسن عضد للفلاح وأكبر مساعد وها هي المصارف الزراعية المحدثة في هذه السنوات الأخيرة في البلاد العربية نجدها قد قامت بأكبر مساعدة للفلاحين فافادتهم واستقادت هي نفسها. فهل حكومتنا الرشيدة أن تعطف نظرها نحو هذه النقطة وتفتح هذا المصرف الزراعي الذي ما زال ينتظره

⁸⁶ علي الجميل ، حول المصرف الزراعي ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 87 في 26 كانون الثاني 1928 .

الفلاحون بفارغ الصبر من حين إلى حين ليخفف من كربهم ويدفع عنهم ما يكابدونه من المرابين.

حبذا العمل⁸⁷

أذاعت الصحف التركية في هذه الأيام الأخيرة أنباءً مفادها أن الجمهورية التركية قد أخذت تتفاوض مع حكومة الدانمارك حول قبول عدد معين من أبناء الفلاحين الذين هم من أهالي الأناضول لأجل أن تبعث بهم إلى مختلف القرى الزراعية في تلك البلدان ثم تم الاتفاق على ذلك بين الحكومتين فأرسلت الجمهورية التركية عدداً معيناً من أبناء فلاحها لأجل أن يختلطوا مع فلاحي الدانمارك ويسكنوا بين تلك القرى ويدرسوا الأعمال التي يقوم بها الفلاحون في تلك الجهات من نطس أرض أو زرع أو أرواء أو حصاد. حبذا العمل هذا العمل وحبذا هذه الفكرة الطيبة التي ستعود نتيجتها على البلاد التركية بنفع كبير إذ أن النظريات لا تكفي لطالب العلم من دون تطبيقات ، ولا يتم العلم ولا ترجى منه فائدة ما لم يطبق على العمل.

هذا خبر أيقظنا لأن نقوم مستلفتين أنظار أولي الشأن منا ومن بيدهم زمام أمورنا عسى أن يحبذوا هذه الفكرة فينتخبوا منتهى تلامذة المدارس العراقية من أبناء الفلاحين كل سنة عدداً معيناً ويبعثوا بهم إلى إحدى المدن المشتهرة بالزراعة الراقية قريبة كانت أو بعيدة لأجل أن يعيشوا مع فلاحها ويشاركوهم في أعمالهم الزراعية سواء كان تحت قر البرد ، أو حر الشمس فيتقنوا من الزراعة اتقاناً تاماً ويعودوا إلى بلادنا فيطبقوا ما درسوه عملياً هناك. فهذه البلاد محتاجة اشد الاحتياج إلى تحسين حالة الزراعة وتوسيع نطاقها إذ يصح لنا أن نقول أننا لدينا أسباب المعيشة غير الزراعة وهذه الأراضي الفاحلة محتاجة إلى أيد عاملة مفتقرة إلى مساعدات عديدة فهل نحن لمثل هذا عاملون؟

نحن والعمل⁸⁸

لقد أصبحت العملة في هذه الأيام حديثاً للأندية والمجالس، فلا تكاد تمر بمجلس من مجالس المدينة ، ولا تحضر مجتمعاً عمومياً بين جدرانها عدد من الرجال إلا وتجدهم يتحدثون متذمرين من المشاكل التي يجابهونها من العملة الدارجة الآن ونقصد بالعملة هي الأوراق النقدية ذات الخمس روبيات وذات العشر، وأقسام الروبية. فالأوراق النقدية المتبادلة بين الأيدي كلها قد أصبحت مخزقة ملزقة ، فقد تجد ورقة ذات خمس روبيات قد ذهب منها قسم ولزق بدلها قسم ليس بتابع لها. وهكذا الورقة النقدية ذات العشر روبيات وقلما تجد من ذات القيمتين أوراقاً معدودة ليست بمخزقة وليست بملزقة ، بل قد أصبحت في حالة بالية تكاد أن تتمزق بعد برهة قليلة، وأما أقسام الروبية المتداولة بين الأيدي، فقد أوشكت أن تصبح كلها

⁸⁷ علي الجميل ، حبذا العمل ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 79 في 22 كانون الأول 1927 .

⁸⁸ علي الجميل ، نحن والعمل ، جريدة صدى الجمهور ، العدد 109 في 23 نيسان 1928 .

ما بين مثقوب وممسوح. ويقول العارفون أن الصرافين يجلبوها من أسواق العاصمة بأقل من قيمتها المعينة لأجل أن ينثروها في أسواق الموصل ثم إذا عادت إلى صناديقهم لا يأخذوها إلا بأنقص من قيمتها الحقيقية ، وإلا فلا يستلموها ، ثم إذا أراد من بيده من تلك الأقسام صرفها في الأسواق عند ابتياع ما يحتاجه فلا يتسلمها البائع كذلك إلا بثمنها الحقيقي ولا بأقل منه ، ولهذا فقد كادت أن تقف أمور الناس . وقد فإوضنا حضرة رئيس البلدية بالمسألة لأجل اتخاذ تدبير لها ، فأخبرنا أن ملتزمي رسوم البلدية يتسلمون مثل تلك الأوراق ، ومثل هذه الأقسام من دون تردد ولكنهم يريدون تسليمها إلى صندوق (استرن بانك) يعتذر عن قبولها فيقع الملتزمون في حيرة لأن أغلب الدراهم التي تصل إلى أيديهم هي من هذا النوع ولا يمكنهم عدم قبولها لعلمهم أن أغلب الدراهم المتداولة بين الأيدي قد أصبحت في هذه الأيام الأخيرة من ذلك النوع ولا يمكنهم أن يسلموها إلى صناديق البنوك لأنهم لا يقبلوها، إذا ما العمل ؟

إننا لا يجيدنا نفعاً قبول ملتزمي رسوم البلدية استلام مثل هذه الدراهم ما دام الفقير الذي يحتاج إلى رغيف الخبز بيده جزء من أجزاء الروبية ممسوح أو مثقوب ويقف على رأس بائع الخبز يريد أن يشتري له رغيفاً لسد رمقه ورمق عائلته فلا يقبل الخباز منه ذلك الجزء من الروبية ، أو يقف البدوي على رأس بائع الخام ليشتري له ثوباً وبيده من ذلك النوع من الدراهم فلا يقبلها البائع وليس عنده غيرها . فنحن نلقت أنظار غرفة التجارة المحترمة إلى هذه المسألة الحيوية لعلها تتوسط لدى أولياء الأمور باتخاذ تدابير لتمشية تلك الأقسام من الروبية ولتبديل الأوراق المخزقة والملزقة التي قد تؤثر أيضاً على الصحة العمومية، فكثيراً ما نصادف الآن بين الأيدي أوراقاً نقدية قد غير الوسخ ألوانها، وقد تحللتها جراثيم قد تسري من الواحد إلى الآخر. والخلاصة، إذا بقيت الحالة على الصورة التي نراها الآن في الأسواق ونسمعها فلا بد أن نتوقف أمور الناس أكثر من التوقف الذي هي فيه الآن. فلعل الغرفة المومي إليها أن يقر هذه المسألة شطراً من المهمة، وتدفع تلك التذمرات وتكون قد أحسنت صنعاً مع الأهلين.

الخاتمة

إن الدرس الذي علمنا إياه هذا " البحث " ، ومن خلال هذه " الرحلة " التاريخية الممتعة في معلم واحد من معالم هذه الشخصية المتميزة التي درسناها .. قد منحنا جملة كبيرة من الحقائق التاريخية المغيية التي اختفت عن الأعين على امتداد ثمانين سنة .. إن عنايتنا بالمقالات الاقتصادية التي نشرها الأستاذ علي الجميل قبل أكثر من ثمانين سنة تعد مصدرا تاريخيا مهما لتلك المرحلة الأولى من تأسيس العراق المعاصر ، ولتاريخ الموصل بالذات . وإذا جاء في مقدمة الصديق الأستاذ الدكتور سالم النجفي أن علي الجميل لم يكن على علم بالنظرية الاقتصادية التقليدية .. فإن الأخ الأستاذ الدكتور سيار الجميل ، يرى العكس ، وذلك من خلال اطلاعه على ما احتوته مكتبة الجد علي الجميل من كتب ومجلات بالفرنسية والتركية والعربية وما كتب على هوامشها من ملاحظات وكتابات بقلم علي الجميل ، وخصوصا مجلتي العالمين الفرنسية والميدل ايسن البريطانية ، فضلا عن ذكر هاتين المجلتين من قبل علي الجميل نفسه في مقاله " لمحة اقتصادية " ! .. لقد كان الرجل مثقفا بارعا ومطلعا كل يوم على ما كان يصدر من أدبيات في مختلف العلوم والآداب والفنون . إن من يقرأ مقالاته في الاقتصاد والتجارة ، يجد كان الرجل ملما بالأساليب العلمية وكم له من قراءات لكل من آدم سميث وريكاردو ..

هكذا ، فإن مقالات علي الجميل التي مضى على نشرها أكثر من ثمانين سنة، واليوم وفي الذكرى الثمانين لرحيل كاتبها نعيد قراءتها بروية جديدة تحمل تأشيرة سنة 2008 ، فإذا كان البشر قد رحلوا ، وإذا كان الزمان قد مضى بثمانين سنة، ولكن الظاهرة يبدو كانت وستبقى محل نظر وجدل ونقاش في كل عهد وزمن، البطالة الإنتاج، العمل، الضريبة، التحالفات الدولية، الثروة، الدخل، المخاطر، التحديات، وهلما جراً

قبل قرن من الزمن كانت مدينة الموصل في أوج عزها الاقتصادي، نتيجة معطيات فرضت للموصل ميزات تنافسية إستراتيجية معينة، وإذا كان الموصليون قد فكروا بالدخول في عصر النور والكهرباء مع وجود شخصيات كبيرة الهمة وعالية الثقافة وبارعة التخصص في كيفية قيادة التحول نحو الإنتاج والثروة والتطوير والتنوير ، خصوصا ، وقد واجهتهم تحديات كبيرة وخطيرة، وكانت خياراتهم ضيقة ومصيرية تخص الهوية والوجود، فالיום تتكرر الظاهرة مع تشتت أبناء الموصل ومتقفيها واكاديميها ، وتفرض على المدينة تحديات اقتصادية وإستراتيجية بطبيعتها تخص وجودها وهويتها.

وأياً كانت التحديات الاقتصادية التي تواجهها المدينة وهي الظاهرة التي يبدو تكررت في بداية القرن الحادي والعشرين كما كانت قد حدثت في بداية القرن العشرين، وإن طبيعة تلك التحديات اقتصادية ومالية ومواجهتها أيضاً ينبغي أن يكون اقتصادياً، وما هذا إلا بعد يضاف إلى جملة الأبعاد التي يعمل بها المحلل الإستراتيجي وهو البعد التاريخي الاقتصادي

لقد عاشت الموصل على الفضاءات المفتوحة شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً وأستطاعت أن تؤسس لمنظومة تجارية دولية وإقليمية نشطت من خلالها على الرغم من كل التحديات والصعوبات والخسائر التي تكبدتها طيلة عقود من الزمن ولكن كان للفعل والعمل دوره الريادي في مواجهة التحديات والتغلب على الصعوبات وتعويض الخسائر ضمن

منظومة تفاعلية لمجتمع أدرك سلفاً أن المنفعة متبادلة وأن أساسها العمل فكانت العائلة تنتج حتى في الليل وفي أوقات الراحة لتتبع في النهار وتزاول عملها ولكن التحدي الأكبر والأهم يجده القارئ في تلك المقالات التي هي أقرب للوثائق التاريخية منها للمقالات الصحفية، فقد ناقشت تقارير ودونت معلومات وحللت بيانات وطرحت خيارات وبدائل إستراتيجيات كان العالم أبعد ما يكون عنها، فهل سنفهم الدرس في بداية القرن الحادي والعشرين ؟

سرمد
الجميل

المؤلف

الأستاذ الدكتور سرمد كوكب الجميل

- . ولد بالموصل 5 آب 1954 .
- . أكمل الدراسة الأولية والعليا في جامعات عراقية وبريطانية وتخرجت متخصصاً بإدارة الأعمال وبالإدارة المالية تخصصاً دقيقاً .
- . عمل في جامعة الموصل منذ سنة 1985 ولم يزل، وتدرج بالألقاب العلمية ونال الأستاذية بإدارة الأعمال.
- . قام بتدريس عدد من المواد العلمية المتخصصة بالعلوم المالية في جامعة الموصل وجامعات عراقية وعربية ، وأشرف على 6 طلاب لنيل شهادة الدكتوراه وعلى 16 طالباً لنيل شهادة الماجستير في جامعة الموصل وجامعات عراقية أخرى . أجاز عدد كبير من طلبة الدراسات العليا لشهادة الدكتوراه والماجستير .
- . نشر العديد من البحوث في مختلف الدوريات العربية ضمن تخصص إدارة الأعمال والإدارة المالية والمصرفية والتمويل الدولي ، وساهم بعدد من المؤتمرات العلمية ، ونشر كتبه في العراق والأردن والإمارات .
- . له مقالات في صحف عراقية وعربية .